الموسوعة الصغيرة



علم المعاني

بين الاصل النحوي والموروث البلاغي

د . محمد حسين علي الصغير



الموسوعة الصغيرة

سلسلة ثقافية تتناول مختلف العلوم والفنون والاداب

تصدرها دار الشؤون الثقافية العامة

١٩٨٩



دار الشؤون الثقافية العامة

وزارة الثقافة والاعلام

العراق - بغداد - اعظمية ص.ب ٤٠٣٢ - تلكس ٢١٤١٣ - هـ - ٤٤٣٦٠٤٤



طباعة ونشر
دار الشؤون الثقافية العامة «آفاق عربية»
رئيس مجلس الادارة :
الدكتور محسن جاسم الموسوي

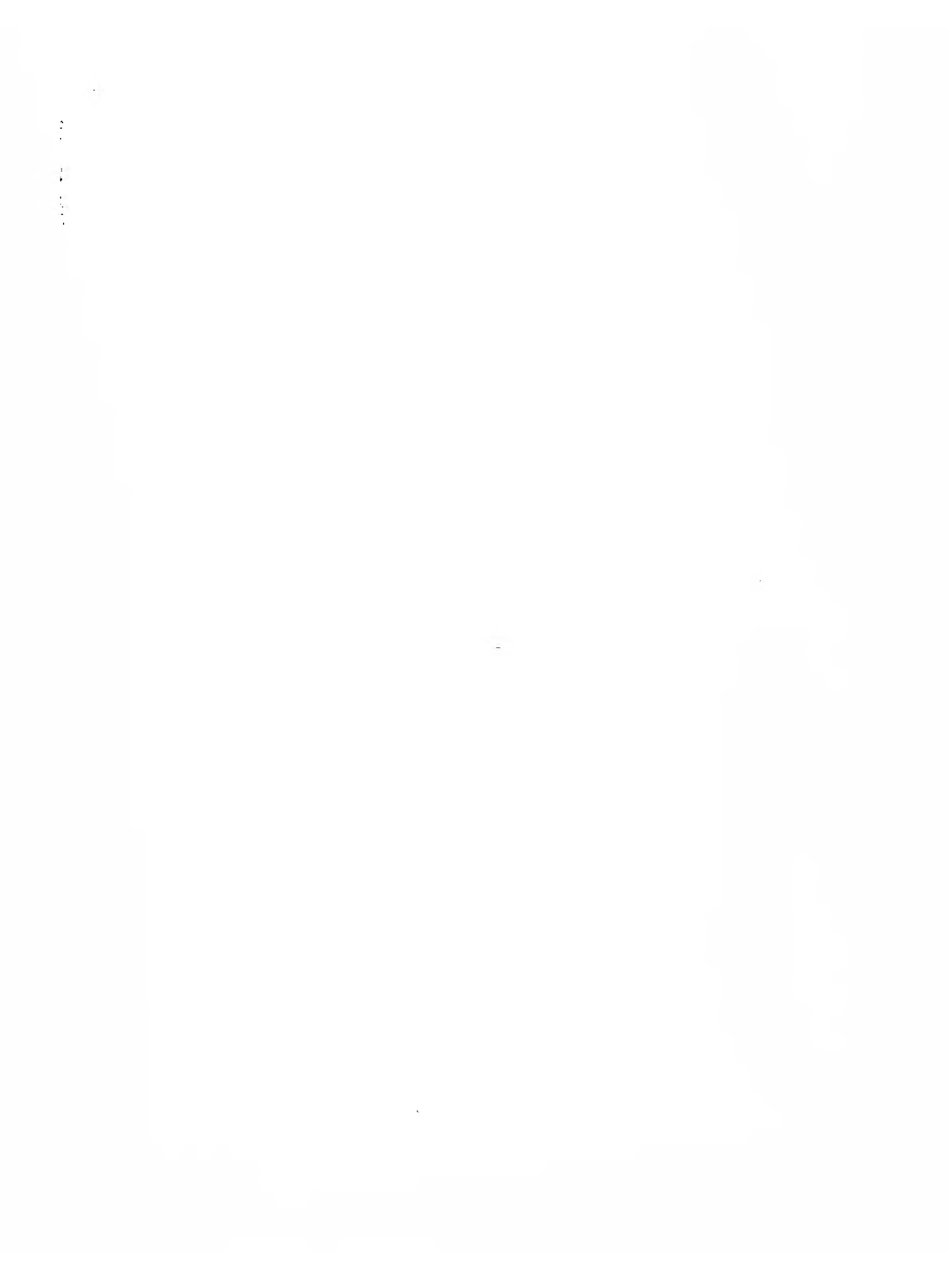
تعنون جميع المراسلات
باسم السيد رئيس مجلس الادارة
العنوان :
العراق - بغداد - اعظمية
ص . ب . ٤٠٣٢ - تلكس ٢١٤١٣ - هاتف ٤٤٣٦٠٤٤

علم المعاني

بين الاصل النحوي والموروث البلاغي

د . محمد حسين علي الصغير

الطبعة الاولى ـ لسنة ١٩٨٩



« بسم الله الرحمن الرحيم »

المقدمة : ـ

علم المعـاني قسيم لعلـم البيان عنـد البلاغيـين العرب القدامى وهما ركنان من الهرم الثلاثي لقـواعد البلاغة العربية بالمفهوم التقليدي : المعاني ، البيـان ، البديع .

ولقد لمسنا في هذا التقسيم تجوزا فضفاضا لايلائم طبيعـة المباحث البـلاغيـة المتخصصـة ، وكـان علينـا الخوض في ابعاد هذا التقسيم ، ومناقشة مصداقيته في النظرية والتطبيق .

ان المنهج الموضـوعي يقتضي الفصل بـين هذه العلوم الثلاثة وان تداخلت بعض المفاهيم فيها بسبب من الاسباب او التقت في بعض المقاييس في جملة منها بوجه من الوجوه .

التـركيب البلاغي في هيئـة علم البيان متنـاسق الاجزاء متراصف الحلقات ، وهو ماينهض به لان يتبوأ

تقعد الصدارة في بناء البلاغة المتماسك .

والبعد النحوي في بنية علم المعاني ، واضح السمات متميز الاصول ، وهو مايجب ان يلتحق بمباحث النحو العربي جزءا متمما لموضوعات متداخلة في صلبه ، وهي من جوهره في حال من الاحوال .

وعلم البديع مزيج من هذا وذاك تارة ، ومادة خصبة لموضوع جرس الالفاظ ووقعها تارة اخرى ، فهو مستقل عن المعاني والبيان في كثير من الملاحظ الفنية .

وهذه الدراسة المختصرة بسبيل توضيح هذه المسائل اجمالا ، والتأكيد على كشف الوجه الحقيقي لعلم المعاني وهو يتأرجح بين الاصل النحوي والموروث البلاغي وضرورة عودته الى جذوره الاولى ليحتل مكانه في النحو العربي .

ان هذه الدراسة « علم المعاني بين الاصل النحوي والموروث البلاغي » عبارة عن محاولة جادة ومتواضعة في وقت واحد ، جادة فيما تحاوله من أمر ،

ومتواضعة فيما تقدمه من نتائج ، قد اكون موفقا ، وقد اكون مجانبا للصواب ، ومهما يكن من امر فقد اخترتها بين عناء الاستنتاج ووحشة الطريق .

وكانت طبيعة مصادر الموضوع ومراجعه تتناوب بين اصول البلاغة والنحو واللغة قديمها وحديثها ، نستعين بهذا ، ونسترشد بذاك ، ونناقش هذا وذاك مستخلصين زبدة الموضوع ، قاصدين الى بلورة البحث ، هادفين الى بيان النظرية ، واستجلاء الامر ، فكان نتيجة لذلك ان نكون هذا البحث من ثلاثة فصول كالاتي : ـ

الفصل الاول : وكان بعنوان (علم المعاني ـ تعريفا وتقسيما) بدأناه بعرض منهجي للبلاغة في مقياسها الفني ، وتقسيم الكلام على الفاظ ومعاني ، واشتات تعريفات البلاغة بمعناها العام ، وتقسيمها الى علمين اصليين هما المعاني والبيان وايجاد البلاغيين علما ثالثا لهما يعنى بالشؤون الهامشية للالفاظ والمعاني .

وعرضنا للمعاني لغة والمعاني في الاصطلاح ، وتداول علم المعاني منذ عهد مبكر لدى السابقين لعصري السكاكي (ت : ٦٢٦ هـ) والقزويني (ت : ٧٣٦ هـ) بعدة قرون ، وخلصنا الى سيرورة استعمال مسميات علم المعاني في القرنين الرابع والخامس من الهجرة النبوية المباركة .

وطرحنا التقسيم التقليدي لمباحث المعاني متأثرا بمتاهات عصره في علم الكلام ، وجزئيات المنطق والفلسفة باعتبارها صورة تجسد ماساد المناخ البلاغي من اقحام ابحاث لاعلاقة لها بالبلاغة بوجه عام ، وانتهينا الى ضرورة التجديد لمباحث علم المعاني على اساس تصور اولي يعنى بالجملة العربية في شتى الاستعمالات كخطوة تعنى بصقل الجهد الانساني للموروث الحضاري بعيدا عن الايهام .

الفصل الثاني : وكان بعنوان « تأصيل علم المعاني » والهدف من هذا الفصل يوحي بأن مفردات

علم المعاني اقدم عصرا واعرق تاريخا مما عرفه السكاكي ، واوضحه القزويني ، وكانت هذه النظرة ميدانا لثلاثة مباحث ، تمثل ثلاثة ادوار تواكب مسيرة علم المعاني متقلبة بين الواقع النحوي ، والموروث البلاغي وكان المبحث الاول : المعاني عند سيبويه .

المبحث الثاني : المعاني من ابن قتيبة الى ابن فارس .

والمبحث الثالث : المعاني عند عبدالقاهر الذي وجدناه مطور هذا الفن وفق الذائقة الادبية .

الفصل الثالث : وكان بعنوان « المعاني بين النحو والبلاغة » وتدور فكرة هذا الفصل حول فصل معاني النحو عن معاني البلاغة ، واستخلاص الرأي في مناهج المعاني ، وهو جوهر الموضوع ، فكانت مباحثه : معاني النحو ومعاني البلاغة ، ورأي في مناهج المعاني خلصنا فيه الى جدولة مفردات المعاني ، فما كان نحويا ارجعناه الى النحو ، وما هو بلاغي الحقناه بالبلاغة مما وجدناه

فوزا ضروريا لامناص عنه .

وما توفيقي الا بالله العلي العظيم ، عليه توكلت واليه أنيب ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

النجف الاشرف / كلية الفقه　　　　الدكتور

الجامعة المستنصرية　　　　محمد حسين علي الصغير

الفصل الاول

علم المعاني تعريفا وتقسيما

١ ـ عرض منهجي

٢ ـ المعاني في اللغة

٣ ـ المعاني في الاصطلاح

٤ ـ تقسيم مباحث المعاني



عرض منهجي : ـ يبدو ان الامام علي (ع) اول من اعطى من العرب للبلاغة مقياسها الفني في ثـلاثة مؤشـرات تحدث فيهـا عن العمق البلاغي في اصـول رصينة لم اجد بحسب تتبعي اقدم منها زمنا ، او اعرق اصالة لانها ممتدة الجذور الى المناخ العربي الصليب في بدء الرسالة الاسلامية .

المؤشر الاول : قوله عليه السـلام . « البلاغـة افصاح قول عن حكمة مستغلقة ، وابانة عن مشكل »[1]

وهذا المؤشر تعريف منهجي للبلاغة يتناسب مع الكشوف العلمية اللاحقة له بعد عـدة قرون ، وتلك الكشوف تكاد لاتتعدى هذا المفهوم في خطوطه الاولى ، وهـذا المفهوم ذو بعـدين ؛ الاول يتعلق بالافصـاح ، والثاني يتحدث عن الاشكال ، وقد يبدو تصورهما لاول مرة بعدا واحدا ، ولكن التدقيق بهما يجلو الحقيقة عنهما ، فالافصاح : الاعراب والبيان والكشف عما يتسجلجل في الصدر ، او يدور في الذهن من المعاني والحكم والاراء

والتعبير عنها بالفاظها المحددة لها يعتبر فتحا لاغلافها ، وسبراً لاغوارها فهو امر يتعلق بالالفاظ والمعاني دفعة واحدة ، وبتفكير جلي منظم ينحدر تلقائيا في لحظة زمنية معينة دون تردد او احباط . والابانة عن المشكل ترجمة فعلية لاشتراط ائتلاف المعاني ، وتناسق العبارات وتراصف فن القول بعيدا عن التعقيد المعنوي واللفظي ، والتنافر في الكلمات والمضامين اذ لاقيمة لاي نص مغلق او تعبير مشكل .

المؤشر الثاني : وصفه عليه السلام لاداة البليغ بقوله : « مارأيت بليغا قط الا وله في القول ايجاز ، وفي المعاني اطالة »[٢] وهو بهذا يقسم الكلام على الفاظ وعلى معانٍ ، ويعتبرهما قسيمين متقابلين ومتعادلين بوقت واحد ، فهما متقابلان لانهما اداة الكلام وقوامه ، اي ركناه ، وهما متعادلان ، لان الكلام لاينتظم الا بهما مجتمعين ، وهو ما ادركه بعد حين ابن رشيق القيرواني (ت : ٤٥٦ هـ) حينما قال :

« اللفظ جسم ، وروحه المعنى ، وارتباطه كارتباط الروح بالجسم ، يضعف بضعفه ، ويقوى بقوته »[3] .

اضف الى ماتقدم اعتبار الامام ؛ الايجاز اصل البلاغة وهو رأي يذهب اليه جملة من البلاغيين في عصور لاحقة[4] .

المؤشر الثالث ، قوله عليه السلام : « لولا ان الكلام يعاد لنفد »[5] ، ومراده كما يفهم ان البيان ذو كلمات واحدة في اللغة الواحدة ولكن هذه الكلمات تتمايز في التركيب ، وتتفاوت في التنظيم الجملي ، ويعبر عنها كل احد بما تسيغه ذائقته البلاغية ، والا لضاقت اللغة عن المراد ، وهو ماعبر عنه البيانيون بايراد المعنى الواحد بصور مختلفة ، وهو علم البيان .

وهناك اشتات متفرقة لتعريف البلاغة عند الامم سردها ابو عثمان الجاحظ (ت : ٢٥٥ هـ)[6] .

واما عند العرب ، فقد نقل عنهم النويري

(ت : ٧٣٣ هـ) انها « مـافهمتـه العـامـة ورضيتـه الخاصة »[٧] .

ويميـل اكثر البـلاغيين القـدامى والمحدثـين الى انها : ـ

مطابقة الكلام لمقتضى الحال او منـاسبة المقـال للمقام»[٨] .

ولقد كان علم البيان الذي يعرف به ايراد المعنى الواحد بتراكيب مختلفة ، واداؤه بصـورٍ متعددة ، هـو القـانـون الـذي تعـرف بـه هـذه المـطابقـة ، وتلك المناسبة »[٩] .

ولقد كان علم المعاني هو القانون الـذي تعصم مراعاته عن الخطأ في تأدية المعنى المراد ، والاحتراز عن التعقيد المعنوي[١٠] .

وقد اودع البلاغيون كلا من المعاني والبيان جملة من الابحاث ، نهض البيان منها بعناصر الصورة الفنية للكلام العربي ، فكان منه المجاز والتشبيه والاستعارة

والكناية ، وكان من المعاني البحث عن قضايا الاسناد ومتعلقات الفعل ، والخبر والانشاء وفروعهما ، ومتعلق الاسناد بقصر ، او بغير قصر وباب في الفصل والوصل واخر في تمييز الكلام البليغ في زيادته وايجازه ومساواته وهو باب الايجاز والاطناب والمساواة[11] .

ثم شاء البلاغيون ان يوجدوا لهذين العلمين علما ثالث يعنى بالشؤون الهامشية للالفاظ والمعاني ، فكان ذلك « علم البديع » في بحثه المحسنات اللفظية والمعنوية ، فكان من المحسنات اللفظية : الجناس و السجع و الترصيع والموازنة و رد العجز على الصدر و لزوم مالا يلزم . . . الخ ، وكان من المحسنات المعنوية : المقابلة و المطابقة و المبالغة و مراعاة النظير و المذهب الكلامي و حسن التعليل و التورية و الاستطراد و تجاهل العارف تأكيد المدح بما يشبه الذم ، وتأكيد الذم بما يشبه المدح . . . الخ .

وهذا العلم فيما يبدو لي بحاجة ماسة الى صقل

وتهذيب مضنيين ، والى عرض جديد باسلوب جديد يعود بأغلب مباحثه الى « جرس الالفاظ » .

وكان كتابنا « اصول البيان العربي » وقد عرض لكثير من مشاكل الفن البلاغي وحصر ابعاده في كل من المجاز والتشبيه والاستعارة والكناية كأصول ثابتة للمعيار الاصيل في القرآن الكريم وعند العرب .

وجاء هذا البحث مؤصلا لعلم المعاني فارجع مايختص منه بمعاني النحو الى النحو العربي ، ومايستفاد فيه حسا بلاغيا الى البلاغة ، فكان الاسناد وقضاياه كافة ، والخبر والانشاء ، ومتعلقات الفعل والقصر والحذف والتقدير ، والتقديم والتأخير ، من حصة النحو العربي ، وكان الفصل والوصل والايجاز والاطناب بسبيل من البلاغة العربية التي ترتفع الى مستوى الاصول البلاغية الاربعة المتقدمة .

وكان الاستدلال المنهجي رائدنا في هذه الدراسة والاستنباط القائم على اساس الفكر والتجرد

طريقنا الى اكتشاف المجهول ، واستقراء الحقائق .

وماتوفيقي الا بالله العلي العظيم ، عليه توكلت واليه انيب ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

المعاني في اللغة :

المعاني جمع المعنى ، والمعنى في اصله اللغوي كما عند الخليل بن احمد الفراهيدي (ت : ١٧٥ هـ) مانصه : ـ

« ومعنى كل شيء محنته وحاله الذي يصير اليه »[١٢] . وعنه نقله ابن منظور (ت : ٧١١ هـ)[١٣] .

وروى الازهري عن ابي العباس ، احمد بن يحيى ، (ثعلب) (ت : ٢٩١ هـ) ، قال : « المعنى والتفسير والتأويل واحد »[١٤] .

ومعنى كل كلام مقصده[١٥] .

وعند الراغب (ت : ٥٠٢ هـ) المعنى اظهار ماتضمنه اللفظ . . . وهو يقارن التفسير وان كان بينهما فرق[١٦] .

وعند الطريحي (ت : ١٠٨٥ هـ) معنى الشيء وفحواه ومقتضاه ومضمونه كل مايدل عليه اللفظ . . . وقولهم هذا بمعنى هذا ، وفي معنى هذا : اي مماثل له او مشابه »[١٧] .

ويتضح مما سبق ان للمعنى عدة مؤشرات : -

الاول : يعني بمصير الشيء وحاله ومحنته ، ولاعلاقة لهذا بمعنى اللفظ او القول او الكلام الا على جهة المجاز ، بلحاظ ان معنى اللفظ هو حاله التي يصير اليها على سبيل التجوز كما اسلفنا ، وذلك اذا اريد من الحال مايؤول اليه .

الثاني : ان المعنى يعني بالبيان والاظهار والكشف والرجوع وهو رأي ثعلب (ت : ٢٩١ هـ) ، وهو يلتقي بمضمونه بالمؤشر الثالث .

الثالث : يعني بدلالة اللفظ على المضمون والمحتوى واظهار ماتضمنه اللفظ من مراد ، وهو رأي الراغب (ت : ٥٠٢ هـ) وابن منظور (ت

٧١١ هـ) وفخر الدين الطريحي (ت : ١٠٨٥) ، وهو مانأنس له في تحديد المعنى لغة .

وعلى هذا فالمعاني لغة : تعني بدلالـة الالفاظ عـلى مضامينها ومقاصدها ، ومايظهر منها لغة عند التبادر في الاطلاق لدى العرف العربي العـام . وهو اجنبي عن المصطلح الفني للمعاني التي يعرف بها حال اللفظ العربي في مطابقته لمقتضى الحال لافي دلالته على معنى معين كما سترى .

المعاني في الاصطلاح : ـ

يشكـك الدكتـور احمد مـطلوب بوضـوح مصطلح المعاني او البيان عند كل من سبق ابا يعقوب السكاكي (ت : ٦٢٦ هـ) وهو لايستطيع ان يتبين مفهوم البيان والمعـاني بدقتهـما الاصطلاحيـة قبل السكـاكي الـذي عدّه : ـ

« اول من قسم البلاغة الى معانٍ وبيان ومحسنات وانه اول من اطلق على المـوضوعـات المتعلقة بـالنظم

مصطلح « علم المعاني »[18] .

وقد عرف السكاكي علم المعاني بأنه : « هو تتبع خواص تركيب الكلام في الافادة ومايتصل بها من الاستحسان وغيره ليحرز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على مايقتضي الحال ذكره »[19] .

وقد رفض الخطيب القزويني (ت : ٧٣٦) تعريف السكاكي لعلم المعاني لان التتبع ليس بعلم ، ولا صادق عليه ، فلا يصح تعريف شيء من العلوم به .[20] .

لهذا فهو يختار تعريفا اخر له ، ويصوغه على النحو التالي : -

« وهو علم يعرف به احوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال »[21] .

وقد انتصر لهذا التعريف سعد الدين التفتازاني (ت : ٧٩١ هـ) منبسطه بالشرح والتعليل ، فقال : « اي هو علم يستنبط ادراكات جزئية وهي معرفة كل

فرد من جزئيات الاحوال المذكورة التي بها يطابق اللفظ مقتضى الحال احترازا عن الاحوال التي ليست بهذه الصفة مثل الاعلال والادغام والرفع والنصب وما اشبه مما لابد منه في تأدية اصل المعنى ، وكذا المحسنات البديعية . . . والمراد انه علم تعرف به هذه الاحوال من حيث انها يطابق بها اللفظ مقتضى الحال لظهور ان ليس علم المعاني عبارة عن تصور معاني التعريف والتنكير ، والتقديم والتأخير والاثبات والحذف ، وغير ذلك »[٢٢] .

والقدر الجامع بين تعريفي السكاكي والقزويني هو غاية هذا العلم في مراعاة الكلام لمقتضيات الحال ، وهو امر بلاغي ، لاعلاقة له بتوجهها النحوي في تبويب مباحث المعاني غالبا اذ مهمة المعاني عندهما مراعاة المقال لمناسبة الحال ، فلا تكلم العالم بلغة الجاهل ، ولا السوقي بلهجة البدوي ، ولاتضع الظاهر موضع المضمر ، ولا المخاطب مكان المتكلم ، ولا من حقه التعريف منكرا ، ولا من موقعه التقديم مؤخرا ، وهو

مايختلط به علم المعاني بعلم البيان بوجه من الوجوه ، لان مقتضيات الحال تجري في التشبيه والاستعارة والمجاز والتمثيل والكناية كما تجري في قضايا الاسناد وموارد الخبر والانشاء وسواهما ، ولكن علم البيان يخرج هنا لان البحث فيه لا عن احوال اللفظ من حيث تقديمه وتأخيره ، او تعريفه وتنكيره ، او قصره وحصره ، او حذفه واثباته ، وانما عن تأدية المعنى الواحد بصور متعددة وبقوالب مختلفة كما هو تعريفه .

اما بالنسبة لسبق السكاكي لمصطلح علم المعاني وكونه اول من قسم البلاغة الى معانٍ وبيان ومحسنات فهنا تجب الاشارة الى ان جار الله الزمخشري (ت : ٥٣٨ هـ) قد ذكر مصطلحي علم البيان والمعاني نصا في حديثه عن آداب التفسير فقال .

« ولايغوص على شيء من تلك الحقائق الا رجل قد برع في علمين مختصين بالقرآن وهما علم المعاني وعلم البيان . . . »[٢٣] .

وهذا ما حدا بالدكتور شوقي ضيف ان يعد الزمخشري اول من ميز بين المصطلحين ، وقسم البلاغة الى علمين هما المعاني والبيان »[٢٤] .

وجاء فخر الدين الرازي (ت : ٦٠٦ هـ) فتحدث عن الخبر متعرضا لذكر مصطلحي المعاني والبيان تصريحا فقال :

« ولكن الخبر هو الذي يتصور بالصورة الكثيرة ، وتظهر فيه الدقائق العجيبة والاسرار الغريبة من علم المعاني والبيان »[٢٥] .

والذي يبدو لي ان تقلب هذين المصطلحين فيما ابداه الزمخشري والرازي يقتضي كونهما معروفين دون ريب ، اذ ارسلاهما ارسال الامر المسلم الذي لايتنازع فيه اثنان وسيتضح فيما بعد ان مصطلح المعاني قد استعمل في حال من الاحوال النحوية او البلاغية عند كل من ابي سعيد السيرافي (ت : ٣٦٨ هـ) واحمد بن فارس (ت : ٣٩٥ هـ) وعبدالقاهر الجرجاني (ت :

٤٧١ هـ) الذي تخصص بتعيين مباحثه الكبرى مبوبة جملة وتفصيلا كما سيأتي ذلك .

ويمكن الاستدلال على صحة تداول المعاني بما اورده السكاكي نفسه اذ استعمل بديهيا العبارات التالية :

١ ـ علماء علم المعاني

٢ ـ صناعة علم المعاني

٣ ـ ائمة علم المعاني [٢٦] .

فما هي دلالة هذه التعبيرات لو لم يكن لعلم المعاني علماء وصناعة وائمة ، وقد افاد منهم السكاكي ، وسار على خطاهم ، لم لايكون السكاكي بالذات قد اشار بهذا الى من تقدمه كالسيرافي وابن فارس وعبدالقاهر والزمخشري والرازي واضرابهم ممن استعملوا هذا المصطلح وهم يعنون مايقولون مادامت البلاغة مقسمة عند الزمخشري والرازي الى معان وبيان ، ومادامت المعاني قد بحثت عند سواه في اصول النحو او نظرية

النظم مجالات الخبر والانشاء لما ابداه الدكتور احمد مطلوب لدى تعقيبه على عبارات السكاكي اذ قال : ـ

« ولم يحدد ـ يعني السكاكي ـ معاني هذه العبارات ، ولا ندري ما المقصود بها ، ومن ائمة علماء المعاني وائمته ؟ لاننا لم نعثر في تاريخ البلاغة قبل السكاكي على علماء اختصوا بالمعاني وبحثوه كما بحثه السكاكي وحدد موضوعاته ولم تكن البلاغة مقسمة الى معانٍ وبيان وبديع »[٢٧] .

وليس الامر كذلك فقد قسمها كل من الزمخشري والرازي وبحثها بأصولها دون بعض مسمياتها عبدالقاهر الجرجاني . والامر الذي اريد الوقوف عنده هنا وقفة يسيرة ، ان هؤلاء الاعلام الثلاثة لم يعرضوا للمعاني والبيان على المستوى النظري فحسب بل لقد سبق بعضهم الى التطبيق الفعلي بالمسميات المحددة لاصناف هذين العلمين ، فالزمخشري مثلا لم يكتف بالاشارة الى مهمة المفسر باستقراء المعاني والبيان ، بل بحثهما ضمن

الكشاف تفصيليا ، وبكثير من العناية في التخصيص دون التعميم ، فهو حينما يبحث وجوه البلاغة في قوله تعالى (وقيل : ياارض ابلعي ماءك ، وياسماء اقلعي ، وغيض الماء ، وقضي الامر ، واستوت على الجودي ، وقيل بعدا للقوم الظالمين »[٢٨] ، فانما يبحث ذلك في جزئيات علمي البيان والمعاني بشكل دقيق ومتميز ، فيذكر الاستعارة والمجاز ، والخبر والانشاء والتقديم والتأخير ، ويختم ذلك بقوله : « ولما ذكرنا من المعاني والنكت استفصح علماء البيان هذه الآية ورقصوا لها رؤوسهم »[٢٩] .

وفي هذا دلالة ـ على الاقل ـ على سيرورة استعمال هذه المسميات والتخريجات ـ بلاغية او نحوية ـ في علمي المعاني والبيان .

تقسيم مباحث المعاني : ـ

استقر البلاغيون في تقسيم مباحث المعاني على ما ابداه كل من السكاكي (ت : ٦٢٦ هـ) ومن بعده

القزويني (ت : ٧٣٩ هـ) حتى عادت هذه المباحث في تقسيمها مدار علم المعاني ، ومحور نظامها الرتيب الذي لايطاوله احد .

ولقد كان هذا التقسيم التقليدي معلماً من سيماء العصر في تقلبه بمتاهات علم الكلام ، وتقسيمات المنطق والفلسفة ، واقتفى اثرهما بهاء الدين السبكي (ت : ٧٣٣ هـ) ، وسعد الدين التفتازاني (ت : ٧٩١ هـ) ومن اتبعهما من الشارحين والمختصرين « لمفتاح العلوم » ومن تابعهم جميعاً من البلاغيين القدامى في المختصرات والمطولات والتلخيصات ونتيجة لمسيرة هذا الركب في هذا الاتجاه المقيد ، فقد اوقع البلاغة العربية في معالم جافة لاتمت الى الذوق الفني بصلة ، بل اعتمدت الشكليات الفجة ، والتقسيمات المملة ، فاخضعت لاقيسة اصولية واصطلاحات منطقية ، حتى عادت شبيهة بالالغاز المعماة ، لامسحة لجمال فيها ، ولا اصالة لفن معها ، مما دعا بعض

العابثين ان يسم هذا التراث العربي الاسلامي المحض بالاثر اليوناني تارة ، والاعجمي تارة اخرى ، نظرا لعقم الجدل المثار في تصانيف هؤلاء القوم[٣٠] .

ان التقسيمات المعقدة التي الحقت بعلم المعاني بتفريعاتها المضنية ، وضروبها المتشعبة مرده الى ما افاده الاستاذ امين الخولي بأنه « صورة لما ساد دراسة تلك البلاغة من نزعات فلسفية وكلامية ، ومنطقية ، اقحمت فيها كثير من ابحاث لاعلاقة لها بالغرض الادبي ، وضيقت دائرتها الفنية ، وافاضت عليها جمودا وجفافا اعجزها عن ان تترك اثرا ادبيا في ذوق دارسها »[٣١] .

ويأتي السكاكي (ت : ٦٢٦ هـ) في طليعة هؤلاء المصنفين على طريقته الخاصة في التقسيم والتقعيد فيضع مباحث علم المعاني في قوالب جامدة تنتهي به الى قوانين ، والقوانين الى فنون ، والفنون الى مباحث على الشكل الاتي : -

القانون الاول ، ويتعلق بالخبر ، والقانون الثاني

وتتعلق بالطلب .

وقسم القانون الاول الى اربعة فنون : ـ

الاول : في الاسناد الخبري ، وتفصيل اعتباراته وتبيين انواعه ، وعرض اغراضه ، واستخراج مؤكداته ، وخروجه عن مقتضى الظاهر .

الثاني : في تفصيل اعتبارات المسند اليه ، وبيان وجوه حذفه وذكره ، ومباحث تعريفه وتنكيره ، واضماره ، ووجوه تعريفه بالموصولية والاشارة ، والالف واللام ، والاضافة . . . . الخ

الثالث : في تفصيل اعتبارات المسند ، وتناول فيه متعلقات الاسم والفعل ، وبحث الاسم في حذفه وذكره ، وافراده ، وتقييده ، وتنكيره ، وتخصيصه وتعريفه ، وتقديمه وتأخيره ، وفيما يتعلق بالفعل فقد بحث ذكره ، وحذفه ، واضمار فاعله واظهاره ، وترك مفعوله واثباته ، وتقييده بالشرط .

الرابع : في تفصيل اعتبارات الفصل والوصل ،

والايجاز والاطناب والمساواة ، والقصر .

وقسم القانون الثاني الى خمسة فنون هي :

التمني ، الاستفهام ، الامر ، النهي ، النداء .

واتبع كل ذلك باستعمال الخبر موضع الطلب .

والطلب موضع الخبر ، والحق في الخاتمة اسلوب الحكيم .

ويعقب الدكتور احمد مطلوب على هذا التقسيم بقوله : ـ

« الواقع انه لم ينجح في هذا التقسيم الذي بناه على المنطق ، فحصر به موضوعات المعاني حصرا مزقها تمزيقا ، افقدها كل روح ، وباعد بينها وبين مايتطلبه الفن الادبي الذي ينبغي ان يعتمد اول مايعتمد على الذوق »[٢٣]

وقد حصر الخطيب القزويني (ت : ٧٣٩ هـ) مباني علم المعاني في ثمانية ابواب هي : ـ

١ ـ احوال الاسناد الخبري .

٢ ـ احوال المسند اليه .

٣ ـ احوال المسند .

٤ ـ احوال متعلقات الفعل .

٥ ـ القصر .

٦ ـ الانشاء .

٧ ـ الفصل والوصل .

٨ ـ الايجاز والاطناب والمساواة . [٣٣]

وهذا التقسيم في مباحث المعاني الى القصد اقرب ، وبجزء من البلاغة الصق ، وان اختلط بعلم النحو من وجوه كما سيأتي .

ووجه حصر مباحث المعاني بهذه الابواب عنده : ـ

« ان الكلام اما خبر او انشاء ، لانه اما ان يكون لنسبته خارج تطابقه ، او لا تطابقه ، اولا يكون لها خارج . الاول الخبر والثاني الانشاء ، ثم الخبر لابد له من اسناد ومسند اليه ومسند ، واحوال هذه الثلاثة هي

الابواب الثلاثة الاولى ثم المسند قد يكون له متعلقات اذا كـان فعلا ، او متصـلا به ، او في معناه ، كاسم الفاعل ونحـوه ، وهذا هـو الباب الـرابع ثم الاسنـاد والتعلق كل واحد منهما يكون اما بقصر او بغير قصر ، وهـذا هـو البـاب الخـامس ، والانشـاء هـو البـاب السادس ، ثم الجملة اذا قرنت باخرى فتكون الثانية اما معطوفة على الاولى ، واما غير معطوفة وهذا هو الباب السابع ، ولفظ الكلام البليغ اما زائد على اصل المراد لفائدة او غير زائد ، وهذا هو الباب الثامن »[٣٤] .

وواضح ان الصنعة الكلامية ، والصبغة المنطقية بينه السمات على هذا النص تأثرا ببيئة العصر الكلامية ومتـطلبـات البحث الاحتجـاجي في الجـدل والـرد والافتراض .

وقد كان قرب هذا المناخ من المدرسة اليونانية ، وتأثره بالمزاج الاغريقي مما يملي هذا التقسيم في تكلفه ، ومجانبته للذائقة الفنية في جملة من الابعاد .

لهذا فان ماقدمه القزويني نموذج متطابق في اغلب الحيثيات الرئيسية لما افاده السكاكي من ذي قبل مع شيء من التحوير .

ولو اردنا لعلم المعاني التجديد ، ولمباحثه الجمع ولم الشتات ولاوصاله التوقيع بعد التمزيق ، لكان علينا ان نجمل مباحثه بعيدة عن التكرار في كل باب ، والاعادة في كل فصل ، والاختلاط في كل فن ، ولرجعنا بعلم المعاني الى عهد عبدالقاهر الجرجاني (ت : ٤٧١ هـ) في توحيد المتشابهات وحصر الموضوعات .

ومع ان مهمتنا هي البحث عن اصول المعاني في اعادة جملة من مباحثها الى علم النحو ، وهو ماتهدف اليه هذه الرسالة ، الا اننا في ضوء ماسبق نستطيع ان نعطي تقسيما اوليا لمباحث المعاني ، وفيه كثير من الاعتدال ومواكبة للمنهجية الموضوعية بحدود الادراك القاصر وذلك على شكل فصول قابلة للتصحيح

والتنقيح او التقديم والتأخير ، او الحذف والاضافة بغض النظر عن كونها مما يلتحق بالبلاغة او النحو فلذلك حديث خاص به سيأتي باذن الله [٣٥] .

وهذا التصور الاولي لمباحث المعاني يصاغ على النحو التالي : -

١ - الجملة العربية : وتبحث بها قضايا التركيب الجملي في الاسناد وقضاياه العامة .

٢ - الخبر والانشاء ، ويبحث فيه انواع الخبر ، واساليب الانشاء بقدر جامع لا افراط فيه ولاتفريط .

٣ - التعريف والتنكير ، ويشتمل على بحث مواطنها في الفن القولي .

٤ - التقديم والتأخير ، وتبحث مزيتها بعامة ، بعيدا عن التفصيلات المضنية ، والجزئيات المعقدة .

٥ - الذكر والحذف ، ويشتمل على بيان مواردها وفوائدهما وعائديتها على الكلام .

٦ - القصر والحصر ، وبأدواتها وملامحها

النحوية والبلاغية .

٧ ـ الفصل والوصل .

٨ ـ الايجاز والاطناب والمساواة .

وهذا المنهج قريب من منهج عبدالقاهر بل هو المتداوله في حصر الموضوعات وجمع متفرقاتها ، فان بحث هذه المواضيع بحثا نحويا امكن ذلك ، وان بحثت بحثا بلاغيا كان كذلك على ان الفصول الستة الاولى مكثفة المعالم في معاني النحو ، والفصلان الاخيران متماثلان مع فنون البلاغة العربية كما سيأتي التفصيل فيها بعد .

لقد سبق لنا القول : ان التفريعات والتعريفات المستمدة من مدرسة الايهام والابهام ، معالم مضللة لاتلتقي والذوق الفني ومظاهر متخلفة تدعو الى النفرة والاشمئزاز ، ولاذنب للبلاغة في ذلك بل للمتصرفين في اصنافها ، والداعين الى تعقيدها حتى عادت كالطلاسم المبهمة . وليس ماذهب اليه جمع من قدامى الباحثين ممن

تأثروا بمفاهيم عصورهم . . . ثقافة اجنبيـة ، وسليقة اعجمية ، ليس ماذهبوا اليه نصوصا مقدسة غير قابلة للنقاش ، ولاهي تعليمات دينية غير قـابلة للرد ، بل هي اراء بشرية تقبل النقض والرفض ، وتتعرض للسهو والخطأ كما تتقبل الرضا والقبول ، وليس تقويمها خروجا على التراث ، بل هو تهذيب وصقل للجهـد الانساني وتطوير للموروث الحضاري [٣٦] .

١ ـ ابو هلال العسكري ، كتاب لصناعتين ، ٥٨ .
٢ ـ المصدر نفسه ، ١٨٠ .
٣ ـ ابن رشيق ، العمدة في محاسن الشعر وادابه ونقده ، ١ / ١٢٤ .
٤ ـ ظ : الجاحظ ، البيان والتبيين ، ١ /٨٧ .
٥ ـ ابو هلال العسكري ، كتاب الصناعتين ، ٢٠٢ .
٦ ـ الجاحظ ، البيان والتبيين ١ / ٨٧ .
٧ ـ النويري ، نهاية الارب ٧ / ١٠ .
٨ ـ ظ : داود سلوم ، النقد المنهجي عند الجاحظ ، ٨٣ .
٩ ـ المؤلف ، اصول البيان العربي ، ٢٩ .
١٠ ـ امين الخولي ، مناهج تجديد ، ٢٦٢ .
١١ ـ ظ : المؤلف ، الصورة الفنية في المثل القرآني ، ١٤٨ ، بتصرف .
١٢ ـ الخليل ، العين ٢ /٢٥٣ .
١٣ ـ ابن منظور ، لسان العرب ١٩ / ٣٤١ .
١٤ ـ المصدر نفسه ١٩ / ٣٤١ .
١٥ ـ المصدر نفسه ١٩ / ٣٤١ .
١٦ ـ الراغب ، المفردات في غريب القرآن ، ٣٥٠ .
١٧ ـ الطريحي ، مجمع البحرين ١ / ٣٠٩ .
١٨ ـ احمد مطلوب ، مصطلحات بلاغية ، ٥٧ .

١٩ ـ السكاكي ، مفتاح العلوم ، ٧٧ .

٢٠ ـ القزويني ، الايضاح ، ٨٤ .

٢١ ـ المصدر نفسه ، ٨٤ .

٢٢ ـ التفتازاني ، مختصر المعاني ، ١٥

٢٣ ـ الزمخشري ، الكشاف ، ١ .

٢٤ ـ شوقي ضيف ، البلاغة تطور وتأريخ ، ٢٢٦ .

٢٥ ـ الرازي ، نهاية الايجاز ، ٣٦ .

٢٦ ـ ظ : السكاكي ، مفتاح العلوم ، ٩٥ ، ٨٦ ، ١٢٦ .

٢٧ ـ احمد مطلوب ، القزويني وشروح التلخيص ، ٢٩٢ .

٢٨ ـ هود / ٤٤ .

٢٩ ـ ظ : الزمخشري ، الكشاف ٢ / ٢٧١ وما بعدها .

٣٠ ـ ظ : المؤلف ، اصول البيان العربي ، ٢٣ .

٣١ ـ امين الخولي ، دائرة المعارف الاسلامية ، مادة بلاغة ، ٤ / ٧٠

٣٢ ـ احمد مطلوب ، مصطلحات بلاغية ، ٥٩ وما بعدها .

٣٣ ـ الخطيب القزويني ، الايضاح ١ / ٨٥ .

٣٤ ـ المصدر نفسه ، ٨٥ .

٣٥ ـ ظ : فيما بعد : مباحث المعاني بين النحو والبلاغة .

٣٦ ـ ظ : المؤلف ، اصول البيان العربي ، ٢٧ .

الفصل الثاني

تأصيل علم المعاني

١ ـ بين يدي هذا الفصل

٢ ـ المعاني عند سيبويه

٣ ـ المعاني ابن قتيبة الى ابن فارس

٤ ـ المعاني عند عبدالقاهر

بين يدي الفصل : -

نود ان نشير هنا ان مفردات علم المعاني هي اقدم عصرا ، واعرق تأريخا ، مما عرفه السكاكي (ت : ٦٢٦ هـ) واوضحه القزويني (ت : ٧٣٩ هـ) ، بل هي اوسع دائرة بالمعنى العام مما خطط له عبدالقاهر (ت : ٤٧١ هـ) اوذكره الزمخشري (ت : ٥٣٨ هـ) او ابانه الرازي (ت : ٦٠٦ هـ) ، واريد بسعة دائرتها ، تداولها بين العلماء ولكن بتطبيقاتها الدلالية ، لا بمعانيها الاصطلاحية ، او تسمياتها الحدودية كما هو شأن السكاكي او منهج القزويني عند تدقيقهما في الرسوم .

ولدى تتبعي لظاهرة شيوع المعاني متقلبة بين الواقع النحوي ، والموروث البلاغي ، رأيتها تتبلور في ثلاثة ادوار متميزة ، يمثل الدور الاول سيبويه ، والدور الثاني يمتد من ابن قتيبة (ت : ٢٧٦ هـ) حتى ابن فارس (ت : ٣٩٥ هـ) والدور الثالث يتمثل في

عبدالقاهر الجرجاني (ت : ٤٧١ هـ) باعتبـاره مطوراً هذا الفن وفق مواصفات الجمال الادبي المتوافرة في اي اثـر نصي ، والصور الفنيـة المتجددة في هيـأة الكـلام ومحتواه .

وسأقف عند هـذه الادوار الثلاثـة وقفة عـرض وبيان مقتضب ، لاوقفة استيعاب ونقد مستفيض ، تبعا لطبيعة هذا البحث المختصرة ، وذلك لاعتباري هـذه الادوار مترابطة تمثل تأصيـل علم المعاني قبـل استقرار مصـطلحه التقليـدي عند السكـاكي والقزويني ورواد مدرستيهما البلاغية بشكل عام .

المعاني عند سيبويه : ـ

الاضطلاع بدور سيبـويه (ت : ١٨٠ هـ) في بناء النحو العربي وتقديـم النصوص اللغوية ، وصيانة اللغـة الفصحى مهمة شـاقة تتـطلب تخصصا وجهـدا متميزين ، وسبر اغـوار كتابـه مما يتـواكب مع هـذين الملحظين ، وحينما نقول سيبويه والكتاب ، فاننا نريده

وتريد الخليل بن احمد الفراهيدي (ت : ١٧٥ هـ) من
ذي قبل ، فهو استاذه والموصل لعلمه ، وعلم العربية ،
ولانريد الاستدلال على هذه الحقيقة بأكثر من الاشارة
الى مئات المرات التي روى فيها سيبويه عن الخليل او
حكى قول الخليل ، او شرح رأي الخليل فاذا اضفنا الى
ذلك قول ابن النديم ، محمد بن اسحق البغدادي
(ت : ٣٨٥ هـ) : « قرأت بخط ابي العباس ثعلب :
اجتمع على صنعة كتاب سيبويه اثنان واربعون انسانا
منهم سيبويه والاصول والمسائل للخليل »[1] .

واذا وجدنا نصر بن علي الجهضمي يروي : « لما
اراد سيبويه ان يؤلف كتابه قال لابي : تعال نحيي علم
الخليل »[2] ، علمنا ان مابحثه سيبويه هو جزء مما بحثه
استاذه الخليل حتى قال احد الدارسين المعاصرين :
«واما بحوث علم المعاني فأكثر ماورد منها في هذه الفترة
مبثوث في كتب النحاة ، وكان فارس ميدانه ـ او على
الاقل من عرفناه ـ هو الخليل بن احمد»[3] .

وماسوف نلاحظه من تضلع سيبويه في مهمة علم المعاني لايمكن ان تضاف اليه دون الخليل كما سيتضح فيما بعد .

ومهما يكن من امر فمنذ هذا العهد المبكر وهو القرن الثاني للهجرة نجد في الكتاب حديثا متكاملا عن قضايا الاسناد في مختلف الصيغ والاحوال النحوية ، مما يعني ان نشوء علم المعاني كان في احضان علم النحو ، ففي الكتاب .

١ ـ نجد سيبويه يتحدث عن تعريف المسند اليه في شتى صنوف التعريف ويتعرض لتنكيره ، ثم يذكر الخبر ، ويعتبر المسند اليه اصل الكلام ، ويعالج مسألة تقديمه وتأخيره ، ويدعو الى التمعن واجالة الفكر في قضية تنكيره . . . . الخ »[4] .

وهذا الباب الذي افرده سيبويه للمسند اليه والخبر هو الباب الاول ، وهو نفسه الباب الثاني والثالث عند السكاكي ، وتختلط به ابواب اخرى .

٢ ـ ويستعرض سيبويه ـ بيسر وسماح ـ مباحث التقديم والتأخير فيعرض لتقديم ماحقه ان يتأخر ، ولتأخير ماشأنه ان يتقدم في جملة من مباحث الكتاب ، وماقصد في كل ذلك من الاهتمام في الكلام ، او تنبيه المخاطب ، وهو لايعني بمسألة التقديم والتأخير نحويا بل يعللها بلاغيا فيما تعورف عليه فيما بعد عند البلاغيين في وجه من الوجوه[٥] .

٣ ـ وبحوث الخبر والانشاء منتشرة في الكتاب بشكل يلفت النظر فمباحث الخبر وهي محددة المعالم يستوفي الكتاب مظاهرها والانشاء يستوعب جزءا من جوانبه بصور دقيقة : كالاستفهام والطلب والنداء والتمني والامر والنهي . . »[٦]

٤ ـ ويتمثل سيبويه حديث الحذف والذكر فيما ينقله عن استاذه الخليل باطناب ينتج فيه اغلب مباحث علم المعاني[٧] .

٥ ـ واما الحديث عن الفصل والوصل والزيادة

ويـريد بهـا الاطناب عـادة ـ فنجده منتشـرا في طيات الكتاب[٨] .

وهذا لايعني ان سيبويه كان معنيـا بالـدراسات البلاغية بل هو معني بالمباحث النحوية والشؤون اللغوية وذلك مما يقرب لنا وجهة النظر القائلة بأن مباحث المعاني نحوية والشيء الثمـين في الموضـوع قرب الصلة بـين ماخطط له سيبويه من مباحث علم المعاني وبين ما استقر عليه علماء البلاغة فيما بعد ، وقد تولى الاسناد الاستاذ الدكتور علي النجدي ناصف ـ رحمه الله ـ : « بيان تلك الصلة في كتابه عن (سيبويه امام النحاة) فيرى ان هناك رحمـا ماسـة ، وصلة شديـدة ، بين منهـج سيبويـه في كتابه ، وبين منهج علماء البلاغة المتأخرين في علم المعاني فالفكرة التي كان سيبويه يرعـاها ويصـدر عنها تنـويع مبـاحث النحو وتـرتيب ابوابـه كـما تمثلت لي بـالنـظر والمراجعة في الكتاب ، ومدارها العامل اولا واخيرا : نظر في الجملة حين تكلم عن المسند والمسند اليه ، فاذا

هي فعلية واسمية . . . ثم تكلم عن الفعل المحذوف والفعل المذكور والمتعلقات ثم صار الى الجملة الاسمية فتكلم عن الابتـداء ونواسخـه . . . ويبـدو ان النسق الذي اخذ به سيبويه هو الذي الهم علماء المعاني فكرة انحصار مباحثه في ابوابه الثمانية المعروفـة وليس يسع المرء وهو يقرأ كلامهم في ذلـك الا ان يبين اقتبـاسهـم منه ، واقتداءهم بهداه »[٩] .

بل لقد ذهب الدكتور عبدالقادر حسين الى اكثر من هذا فعدّ سيبويه ممن انار الطريق بين يدي عبدالقاهر للاستقلال بنظرية النظم فقال : « فاذا كان عبدالقاهر هو الذي ينسب اليه ابتكار نظرية النظم ، لانه بسطها وفصلها وطبقها على ابواب جمة من البلاغة . فإن سيبويه هو الذي امسك المصباح بكلتا يديه وانار الطريق امام عبدالقاهر ، وهداه الى الغاية المنشودة او بعبارة اخرى اذا كان النظم قد اصبح على يد عبدالقاهر بمثابة شجرة عظيمة شاهقة ، متعـددة الاغصان ، مثقلة بـالثمار ،

فان سيبويه هو الذي القى البذرة قبل ان تبرز الشجرة امام العيون بمئات السنين »[١٠] .

فإذا علمنا ان نظرية النظم تعني بمعاني النحو ، وان معاني النحو هي الاصل في علم المعاني ، تبين لنا فضل سيبويه واستاذه الخليل على هذا الفن -

* * *

المعاني من ابن قتيبة الى ابن فارس : -

فاذا تجاوزنا عصر الخليل وسيبويه ، ومحصنا الامر خلال قرنين من الزمن وجدنا مباحث علم المعاني مدرجة ضمن الحلقات الموسوعية لعلمائنا القدامى ، فأمامنا الفراء (ت : ٢٠٧ هـ) في معاني القرآن ، وابو عبيدة (ت : ٢٠٩ - ٢١٠ هـ) في مجاز القرآن ، والجاحظ (ت : ٢٥٥ هـ) في الحيوان والبيان والتبيين ، وابن قتيبة (ت : ٢٧٦ هـ) في تأويل مشكل القرآن . والمبرد (ت : ٢٨٥ هـ) في الكامل ، وثعلب (ت :

٢٩١ هـ) في قـواعـد الشعـر ، وابن المعـتز (ت : ٢٩٦ هـ) في البـديـع ، وقـدامـة بن جعفـر (ت : ٣٣٧ هـ في النقـدين ، والقـاضي الجـرجـاني (ت : ٣٦٦ هـ) في الـوساطـة ، والحسن بن بشـر الامـدي (ت : ٣٧٠ هـ) في الموازنة بين الطائيين ، والرمـاني (ت : ٣٨٦ هـ) في الـنـكـت ، والخـطابي (ت : ٣٨٨ هـ) في بيان القرآن ، والحاتمي (ت : ٣٨٨ هـ) في الرسالة الموضحة ، وابن جني (ت : ٣٩٢ هـ) في الخصـائص وسـر صنـاعـة الاعـراب ، وابـو هـلال العسكري (ت : ٣٩٥ هـ) في الصناعتين ، والشريف الـرضـي (ت : ٤٠٦ هـ) في تلخـيص البـيـان ، وللمجازات النبوية ، وابن رشيق (ت : ٤٥٦ هـ) في العمدة ، وابن سنان الخفاجي (ت : ٤٦٦ هـ) في سر الفصاحة واضرابهم من العلماء المتخصصين ممن يطول ذكـرهم ، فلكـل من هؤلاء يـد عـلى المعـاني بـالمعنى الاصطلاحي ، فقد جاءت جهودهم متناثرة بين كتب

النحو والبلاغة والنقد الادبي ، ولكنك تظفر بما تريد من علم المعاني ، مزيجا بالنحو ، او مستلا من اللغة او مسايرا للبلاغة ، بيد اننا نريد ان نقف عند بعض المؤشرات الاصيلة عند كل من ابن قتيبة (ت : ٢٧٦ هـ) وابي سعيد السيرافي (ت : ٣٦٨ هـ) واحمد بن فارس (ت : ٣٩٥ هـ) فقد استوعب الاول جملة من مباحث علم المعاني منذ عهد مبكر ، وقد استعمل الثاني عبارة : معاني النحو وقد اكد ابن فارس على معاني الكلام في مفردات علم المعاني وبذلك نلمس شيوع المفردات عند اهل الفن من جهة ، واستقلال مصطلح المعاني من جهة اخرى .

فمن اطرف ما اورده ابو محمد عبدالله بن مسلم ابن قتيبة (ت : ٢٧٦ هـ) جمعه لمادتي علمي المعاني والبيان في صدر كتابه « تأويل مشكل القرآن » باسمائها الاصطلاحية الدقيقة التي تعارف عليها المتأخرون من عصره وان استخدام المجاز بمفهومه العام للدلالة على

علمي المعاني والبيان بصورة عامة على طريقة الاوائل ، ولكنه في النص التالي يضع حجر الاساس لاسماء المصطلحات التي توسع فيها السكاكي او لخصها وشرحها واختصرها القزويني ، يقول ابن قتيبة : -

« وللعرب المجازات في الكلام ومعناها طرق القول ومآخذه ففيها الاستعارة والتمثيل والقلب ، والتقديم والتأخير والحذف والتكرار والاخفاء والاظهار ، والتعريض والافصاح ، والكناية والايضاح ، ومخاطبة الواحد مخاطبة الجميع ، والجميع خطاب الاثنين ، والقصد بلفظ الخصوص لمعنى العموم ويلفظ العموم لمعنى الخصوص ، مع اشياء كثيرة في ابواب المجاز »(١١) .

وهكذا شأن كل ما هو مبتكر واصيل ، ان يعطيك الدقة والشمولية والاستقصاء فيما يتصل بطريقة التعبير عن المعاني والبيان(١٢) .

فابن قتيبة هنا قد حصر ابحاث علم المعاني

وجردها من قبل ان تتبلور فكرتها وبالمعنى الذي اراده اصطلاحا والمصطلحات التي استعملها حصرا في النص المتقدم لعلم المعاني الاتي : ـ

١ ـ التقديم والتأخير .

٢ ـ الحذف والتكرار .

٣ ـ الاخفاء والاظهار .

٤ ـ مخاطبة الواحد مخاطبة الجميع .

٥ ـ مخاطبة الجميع خطاب الواحد .

٦ ـ مخاطبة الواحد والجميع خطاب الاثنين .

٧ ـ ارادة العموم بلفظ الخصوص .

٨ ـ ارادة الخصوص بلفظ العموم .

ولم يكتف بهذا القدر الكبير من مباحث علم المعاني حتى اضاف اليها قوله : مع اشياء كثيرة ستراها في ابواب المجاز ، فأحال الى المباحث الاصل دون المقدمة .

وهناك اشارة لابي سعيد السيرافي (ت :

٣٦٨ هـ) تؤكد مضنة التماسه لعلم المعاني بمعاني النحو بقولين : -

(معاني النحو منقسمة بين حركات اللفظ وسكناته ، وبين وضع الحروف في مواضعها المقتضية لها ، وبين تأليف الكلام بالتقديم والتأخير »[١٣] .

ويتضح من هذا النص ان للسيرافي فضل السبق في هذا التعبير (معاني النحو) دون الخوض في تطبيقاتها الفنية الرتيبة كما فعل عبدالقاهر فيما بعد .

ويستوقفنا حقا ما افاده احمد بن فارس (ت : ٣٩٥ هـ) حينما عقد بابا في الصاحبي وسماه (معاني الكلام) وهي : - « عند اهل العلم عشرة : خبر واستخبار ، وامر ونهي ، ودعاء وطلب ، وعرض وتحضيض ، وتمن وتعجب »[١٤] .

فهو يضع بين ايدينا عبارة (معاني الكلام) في قبال (الفاظ الكلام) وهو يضع مباحث الخبر والانشاء فيها وهي طليعة مباحث علم المعاني ، واهم ابوابه

وفصوله .

وباستقراء ماتقدم يتجلى دور هؤلاء الاعلام في ارساء المصطلح واثارة المفردات .

ولايفوتنا التنويه ان ابا هلال العسكري (ت : ٣٩٥ هـ) يشاركهم في استنباط جملة صالحة من مباحث المعاني يجب ان لاننفض عنها طرفا ، فقد بحث في الصناعتين / الفصل الخامس ، شذرات من مباحث الايجاز والاطناب والمساواة في مجال التعريف والتطبيق .[١٥]

وقد اشار الى الخبر والوصف في صورة الاستفهام[١٦] .

وقد اقام اصول القول في الفصل والوصل تنقيحا وتحقيقا وشواهد وامثلة [١٧] .

هذا كله عدا جملة من الجزئيات في الامر والنهي ومعاني الحروف ونظائر ذلك .

فاذا وقفنا عند عبدالقاهر الجرجاني (ت :

٤٧١ هـ) وجدناه بحق مؤسس هذا العلم ومشيد اركانه ، ولمسناه مطور مباحثه ومجدد معالمه ، فالمستقري لكتابه « دلائل الاعجاز » يلحظ فصوله ومقتطفاته منصبة حول علم المعاني بكل تفريعاته الجمالية والاسلوبية ، حتى كانت الحيثيات التي اثارها ، والفصول التي خاض غمارها ، تعد بلاريب اوضح وامرن واسلم ماتوصل اليه علم المعاني في مجال الاسلوب ، وعرض المنهج ، لهذا فليس امرا مبالغا فيه ان نعتبره ـ في المستوى التطبيقي على الاقل ـ المخطط لعلم المعاني بين دلالته البلاغية ، ومصدره النحوي ، مما يقتضي رصد هذه الظاهرة في ابعادها العامة .

المعاني عند عبدالقاهر :

لاشك ان عبدالقاهر الجرجاني (ت : ٤٧١ هـ) في جهوده الفنية بارساء فكرة النظم وكشف مجاهلها وتأكيد ارتباطها بسبب واخر بمعاني النحو ، ما كان

يهدف فيها الا التمهيد الطبيعي لما تواضع على تسميته البلاغيون بـ (علم المعاني) ، فهو حينما يتحدث عن الفصل والوصل ، والتقديم والتأخير ، والحذف والذكر ، والاظهار والاضمار ، والتعريف والتنكير والمسند والمسند اليه ، والخبر والانشاء ، والايجاز والاطناب واضراب ذلك ، فانما يتحدث عن علم المعاني ، وان لم يقل ان هذه هي مادة علم المعاني ، فهو امر مفروغ عنه في تأكيده المعاني في اصل نظريته ودلالته عليها في جملة مباحثه ومعالجاته الفنية وتناسق فكرة النظم لديه بحيال معاني النحو مشققا على ذلك ومفرعا عنه بما لامزيد عليه[١٨] .

ولاريب في ان الفضل في ابتكار هذا العلم يعود الى عبدالقاهر وحده ، فان مسائل هذا العلم لم تدرس قبله ولم تعالج على هذا النحو . . . ولعل تمعن عبدالقاهر في الحديث عن معاني النحو ، وان النظم ليس شيئا الا توخي المعاني ، هو الذي اوحي بتسمية

هذا العلم « بعلم المعاني » [١٩]

ولقد سبر عبدالقاهر اغوار الفن البلاغي شرحا وايضاحا وتطبيقا ، واعتنى في « دلائل الاعجاز » باللباب من علم المعاني واكد الجانب الحي النابض ، وابتعد عن الفهم الساذج ، والابهام المفتعل وتحاشا الفصل بين النظرية والتطبيق ولم يعتن بالحدود والرسوم والتعريفات ، بل كان يؤثر الحديث عن الاصل الفني للمعاني دون الخوض في تعقيد التعريف او جفاف القواعد ، فقد كتب كتابه هذا لمن تفرغ لهذا العلم ، فعليه اذن ان يعطي ثمرته يانعة باسقة متراصفة ، فلا غرابة ان نعده مبتكرا ومؤصلا لهذا العلم ، عرضا واسلوبا ونتائج ، اما مجال التطبيق عنده فالقرآن الكريم . وسنن العرب في كلامهم ، شواهد وشوارد وامثالا ، والشعر الرصين المختار .

ولقد افاد عبدالقاهر من ثقافته الموسوعية فصبها قالبا متميزا يتمكن من القلوب ويستهوي النفوس ،

ولعله اول من اشاد الى تعلق هذه المعاني بعلم النفس وربطها به مما اثبتته الدراسات الحديثة فيما بعد[20] .

ولعله ابلغ من فرع تلك الاصول المغلقة الى فن تسيغه الذائقة ، وتتقبله الافئدة ، يعيدك الى التراث ، ويوقفك على المأثور ، دون غلطة في التعبير ، او تهافت في الحجة ، او تشادق في الكلام . وماضره ان يبتعد عن نهج المناطقة ، ويتحاشى مناخ الفلاسفة فيقربك بيسر من الثقافة الام دون اجترار .

وفي هذا الضوء فليس جديدا ما ابداه السكاكي او القزويني في علم المعاني من حيث المباحث والمفردات ، فعبد القاهر قد سبق الى بحث تفصيلات ودقائق هذه المسميات محققا ومنورا ومبرمجا ، فلا يكاد يبحث في موضوع من التقديم والتأخير الا وقد اتبعه بتوضيح عن الحذف والذكر ، مشبعا الاول في ضوء الثاني ومفصلا في الثاني بسبيل مما بحثه في الاول ، ولاخاض في مجاهل التعريف والتنكير الا وعرج على

الفصـل والـوصـل ، ولا بحث في القصـر الا وأبـان الحصر ، ولا فلسف الايجاز الا ذكر مزية الاطناب كل ذلك بسبيل من علم النحو المبين بقوله : ـ

« واعلم ان ليس النـظم الا ان تضع كـلامـك الوضع الذي يقتضيه علم النحو ، وتعمل على قوانينه واصوله ، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها ، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تخل بشيء منها ، وذلك انا لانعلم شيئا يبتغيه الناظم بنظمه غير ان ينظر في وجوه كل باب وفروقه ، فينظر في الخبر الى الوجوه التي تراها في قولك :

زيد منطلق

زيد ينطلق

وينطلق زيد

ومنطلق زيد

وزيد المنطلق

والمنطلق زيد

وزيد هو المنطلق

وزيد هو منطلق

وفي الشـرط والجزاء الى الـوجوه التي تـراهـا في قولك .

ان تخرج اخرج

وان خرجت خرجت

وان تخرج فانا خارج

وانا خارج ان خرجت

وانا ان خرجت خارج

وفي الحال الى الوجوه التي تراها في قولك : ـ

جاءني زيد مسرعا

وجاءني يسرع

وجاءني وهو مسرع او هو يسرع

وجاءني قد اسرع

وجاءني وقد اسرع

فيعرف لكل من ذلك موضعه ، ويجيء به حيث

يتبغي له وينظر في الحروف التي تشترك في معنى ثم ينفرد كل واحد منها بخصوصية في ذلك المعنى ، فيضع كلا من ذلك في خاص معناه ، نحو : ان يجيء بما في نفي الحال وبلا اذا اراد نفي الاستقبال ، وبأن فيما يترجح بين ان يكون وان لايكون ، وباذا فيما علم انه كائن . وينظر في الجمل التي سترد . فيعرف موضع الفصل فيها من موضع الوصل ثم يعرف فيما حقه الوصل موضع الواو من موضع الفاء ، وموضع الفاء من موضع ثم ، وموضع او من موضع ام ، وموضع لكن من موضع بل . ويتصرف في التعريف والتنكير والتقديم والتأخير في الكلام كله ، وفي الحذف والتكرار والاضمار والاظهار ، فيضع كلا من ذلك مكانه ويستعمله على الصحة وعلى ماينبغي له .

هذا هو السبيل فلست بواجد شيئا يرجع صوابه ان كان صوابا ، وخطؤه ان كان خطأ الى النظم ، ويدخل تحت هذا الاسم الا وهو معنى من معاني النحو

التي قد اصيب به موضعه ووضع في حقه ، او عومر بخلاف هذه المعاملة فازيل عن موضعه ، واستعمل في غير ماينبغي له ، فلا ترى كلاما قد وصف بصحة نظم او فساده او وصف بمزية وفضل فيه ، الا وانت تجد مرجع تلك الصحة وذلك الفساد وتلك المزية وذلك الفضل الى معاني النحو واحكامه ، ووجدته يدخل في اصل من اصوله ، ويتصل بباب من ابوابه .

هذه جملة لاتزداد فيها نظرا ، الا ازدادت لهـ تصورا ، وازدادت عندك صحة ، وازدادت بها ثقة ، وليس من احد تحركه لان يقول في امر النظم شيئا الا وجدته قد اعترف لك بها او ببعضها ، ووافق فيها درى ذلك او لم يدر »[٢١] .

فنظرية النظم عند عبدالقاهر في استجلاء معاني النحو ترتبط بالمسند والمسند اليه وقضاياهما ، وتستوعب مباحث الفصل والوصل على مايفيده المعنى من كل حرف من حروف العطف وتشتمل على الحذف والقصر

والتكرار وتترصد الاضمار والاظهار والتقدير مضافا الى التعريف والتنكير ، وهذه اهم مباحث علم المعاني .

وهنا يجب التنبه ان نظرية النظم عند عبدالقاهر تنظر الى النحو نظرة خاصة ومتطورة ، تتعدى حدوده التعريفية وعلاماته الاعرابية الى خصائصه الفنية « ولايقصد بالنحو معناه الضيق الذي فهمه المتأخرون ، وانما يريد المعاني الاضافية التي يصورها النحو . وبذلك رسم في « دلائل الاعجاز » طريقا جديدا للبحث النحوي تجاوزا اواخر الكلمة ، وعلامات الاعراب ، وبين ان للكلام نظما ، وان رعاية هذا النظم واتباع قوانينه هي السبيل الى الابانة والافهام »[٢٢] .

لهذا نجده يعير التركيب وسلامته ، وارتباط النظم وتعلق بعضه ببعض ، وتشابك العبارة وصلتها بما قبلها وما بعدها اهمية كبيرة يؤكد عليها في موضع اثر موضع ، ويناقشها في فصل بعد فصل ، ويحررها في جزء ليكملها في جزء اخر ، وهكذا ديدنه . . يكر على

لامر ويبحث امرا موازيا لـه ويعود اليـه ، ويحيل الى مايأتي ، ويشير الى ماسبق ، ويتناول ما هو بين يديه . والرجل قوي الحجة ، صليب البرهان ، فلايكاد ينتهي من عرض الا اشبعه بعرض اخر ، تمحضا للموضوع وتأهبا للامر في استكناه نظرية النظم التي تستجلى منها المعاني في سبيل العبـارات وتراصف الجمـل فيقول :
« واعلم انـــك اذا رجعت الى نفســـك علمـت علما لايعترضه الشك ان لانظم في الكلم ، ولاترتيب حتى يعلق بعضها ببعض ، ويبنى بعضها على بعض ، وتجعل هذه بسبب من تلك هذا ما لايجهله عاقل ولايخفى على احد من الناس»[٢٣] .

وواضح انه يتحدث هنا عن قضايا الاسنـاد في تركيب الجملة وانها اصل ذلك ، وقضية الاسناد بشقيها في ارتبـاط بعضها ببعض ، من اصـول المعـاني لـدى البلاغيين وهي اصولها عنده في نظرية النظم ، وهو يؤكد ذلك بعد كد وكدح واستقصاء وشواهد فيقول : « واذ

قدعرفت ان مدار امر النظم على معاني النحو وعلى الوجوه والفروق التي من شأنها ان تكون فيه ، فاعلم ان الفروق والوجوه كثيرة ليس لها غاية تقف عندها ، ونهاية لاتجد لها ازديادا بعدها ، ثم اعلم ان ليست المزية بواجبة لها في انفسها ومن حيث هي على الاطلاق ، ولكن تعرض بسبب المعاني والاغراض التي يوضع لها الكلام ثم بحسب موقع بعضها من بعض ، واستعمال بعضها مع بعض »[٢٤] .

وهو هنا يتكلم عن معاني النحو في فروقها ومميزاتها ووجوهها ويريد بذلك التعريف والتنكير والتقديم والتأخير ، والذكر والحذف ، ولاحدود لذلك لديه ، ولا نهاية لها عنده ، والفضل ليس لها في هذا المقياس ، ولكنه للموقع من الجملة بحسب معانيها واغراضها ، ودقة استعمالها وتسخيرها ، هو يعاود هذه الفكرة فيقول : « واعلم ان مما هو اصل في ان يدق النظر ويغمض المسلك في توخي المعاني التي عرفت ان تتخذ

اجـزاء الكلام ، ويـدخل بعضهـا في بعض ، ويشتد ارتباط ثان باول ، وان يحتاج في الجملة ان تضعهـا في النفس وضعا واحدا ، وان يكون حالك فيها حال الباني يضع بيمينه ههنا في حال مايضع يساره هناك » [٢٥] .

وحينما ينتهي عبدالقاهر من نـظرية النـظم بعد ربـطها بمعـاني النحو ، يـأتي عـلى المستـوى التـطبيقي للموضوع فيبحث هذه المسائل بحث المدرب الخبير ، فيعقد فصلا للقول في التقديم والتأخير[٢٦] يبحث فيـه جميع مواطن ذلك دون استثناء من كل الوجوه بلاتشويه للامر ، ولا استئثار باخراج الكلام عن وجه المعاني الى سبل الفلسفة والمنطق والاصول ، كما فعل السكـاكي والقزويني والتفتازاني فيما بعد ، بل هو يستنكر في هذا السياق التصور الاولي لدى علماء المعاني في التأكيد منه عـلى التقديم والتـأخـير والحـذف والتكـرار والاظهـار والاضمار والفصل والوصل دون الخوض في التفصيلات المضنية التي لاتقود الى استكنـاه النص الادبي بل عـلى

اساس من العناية في التطلع الى مزية القول كما فعل في مجال التقديم بقوله : ـ

« وقد وقع في ظنون الناس انه يكفي ان يقال انه قدم للعناية ، ولان ذكره اهم ، من غير ان يذكر اين كانت تلك العناية ، ولم كان اهم ، ولتخيلهم ذلك قد صغر امر التقديم والتأخير في نفوسهم ، وهونوا الخطب فيه حتى انك لترى اكثرهم يرى تتبعه والنظر فيه ضرب من التكلف ، ولم ترظنا ازرى على صاحبه من هذا وشبهه ، وكذلك صنعوا في سائر الابواب فجعلوا لاينظرون في الحذف والتكرار والاظهار والاضمار ، والفصل والوصل ، ولا في نوع من انواع الفروق والوجوه الا نظرك فيما غيره اهم لك »[٢٧] .

فهو لايذكر ابواب المعاني هنا فحسب بل وينعى على من تخلف في البحث بمستواها التقويمي والتعليمي مع بيان الحجة وكشف المميزات .

ولاغرابة ان نجد عبدالقاهر مستوعبا لجميع

مباحث هذا الفن فهو يبحثها نقطة نقـطة ، ويدرسه جزئيـة جزئية ، وكذلك صنع في باب الحذف[٢٨] .

وعقد عبدالقـاهر عـدة فصول في بـاب الحذف تتناول مباحثه كافة في مقام الاسم والفعل والخبر تعريفا وتنكيرا قصرا وفروقا تحقيقا في معاني المبتدأ والخبر ، وهو نفسه في باب الفصل والوصل [٢٩] .

ونجـد هـذا التفصيـل بعينـه في بــاب القصـر والاختصاص الذي بين فيه مشكلات الموضوع تبينا لم يسبق اليه[٣٠] .

وختمه ببيان كون النظم بتوخي معاني النحو فيما بـين الكلم وان نظريتـه هذه قـد بلغت من الوضـوح والظهور والانكشاف الى اقصى الغاية .

ولاينسى عبدالقاهر ان يشير الى اهم موضوعات علم المعاني وهو بسبيل انهاء الحديث عن دلائل الاعجاز القـرآني فيعقد بحثـا للاسنـاد ، وتحقيق معنى الخبر ، وحقيقته في الاثبات والنفي ، ويشير في بحث بعده الى

متعلقات الفعل وكونها تغير معنى الجملة ، وهذان بابان من ابواب المعاني بحسب تقسيم السكاكي والقزويني[31] .

والطريف ان يبين الجرجاني اهميتهما من قبل ان يبين السكاكي والقزويني اساسهما على ما افاده بقوله : ـ

« اعلم ان معاني الكلام كلها معان لاتتصور الا فيما بين شيئين ، والاصل والاول هو الخبر ، واذا احكمت العلم بهذا المعنى فيه عرفته في الجميع » .[32]

وزيادة على هذا فانه لاينسى المهمة الام في هذه المباحث ، وهي اثبات اعجاز القرآن من خلال نظرية النظم فيقول عودا على بدء مع ثبت النتائج :

فاذا ثبت الان ان لاشك ولامرية في ان ليس للنظم شيئا غير توخي معاني النحو واحكامه فيما بين معاني الكلم ، ثبت من ذلك ان طالب دليل الاعجاز من نظم القرآن اذا هو لم يطلبه في معاني النحو واحكامه ووجوهه وفروقه ، ولم يعلم انها معدنه ومعانه وموضعه

ومكانه وانه لا مستنبط له سواها وان لاوجه لطلبه فيما عداها ، غار نفسه بالكاذب من الطمع ، ومسلم لها الى الخدع وانه ان ابى ان يكون فيها كان قد ابى ان يكون القرآن معجزا بنظمه ولزمه ان يثبت شيئا اخر يكون معجزا به[٣٣] .

والذي يعنينا من هذا النص ان دليل الاعجاز يطلب في معاني النحو ، وهذه المباحث التي اثارها في علم المعاني هي معاني النحو ، وهذا مانريد اثباته او التحقيق فيه على الاقل .

١ ـ ابن النديم ، الفهرست ، ٦٧ .

٢ ـ الزبيدي ، الطبقات ، ٧٨ .

٣ ـ عبدالسلام عبدالحفيظ ، مناهج البحث البلاغي في الدراسات العربية ، ٣٦ .

٤ ـ ظ : سيبويه ، الكتاب ١ / ٢٢ ـ ٢٧ .

٥ ـ المصدر نفسه ١ /١٢ ، ١٥ ، ٢٧ ، ٤١ ، ٦١ ، ٢٨٥ .

٦ ـ المصدر نفسه ١/٥١ ، ٥٢ ، ٤٨ ، ١٧٢ ، ٣١٨ ، ٣١٩ ، ٤٨٥ ، ٤٨٦ ، ٣٠٢ ، ٤٨٤ .

٧ ـ المصدر نفسه ١/١١٤ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٤٩ ، ٣٢٩ ، ٢٧٩ ، ٣٧٥ ، ٣٩٥ ، ٤٥٣ .

٨ ـ المصدر نفسه ، ١/٣٦٢ ، ٩٢ ، ٢٣٠ ، ٣٠٦ ، ٢٠٣ ، ١٢٤ .

٩ ـ عبدالقادر حسين ، اثر النحاة في البحث البلاغي ١١٣ ـ ١١٤ نقلا عن علي النجدي ناصف في كتابه : سيبويه امام النحاة ١٧٨ ـ ١٨٠ .

١٠ ـ عبدالقادر حسين ، اثر النحاة في البحث البلاغي ، ١١٣ .

١١ ـ ابن قتيبة ، تأويل مشكل القرآن ، ١٥ .

١٢ ـ ظ : المؤلف ، اصول البيان العربي ، ٢٥ .

١٣ ـ ابو حيان التوحيدي ، الامتاع والمؤانسة ١٢/١٢١ .

١٤ ـ ابن فارس ، الصاحبي ، ١٧٩ .

١٥ ـ ظ : العسكري ، كتاب الصناعيين ١٧٩ ـ ٢٠٠ .

١٦ ـ المصدر نفسه ، ٤٥٠ وما بعدها .

١٧ ـ المصدر نفسه ، ٤٥٨ ـ ٤٦٢ .

١٨ ـ ظ : المؤلف ، اصول البيان العربي ، ١٩ .

١٩ ـ احمد احمد بدوي ، عبدالقاهر الجرجاني وجهوده في البلاغة العربية ، ٣٦٩ .

٢٠ ـ عبدالقاهر الجرجاني ، دلائل الاعجاز ، ٧٩ .

٢١ ـ عبدالقاهر الجرجاني ، دلائل الاعجاز ، ٦٦ ـ ٦٨ .

٢٢ ـ احمد مطلوب ، القزويني وشروح التلخيص ٢٨٨ .

٢٣ ـ عبدالقاهر الجرجاني ، دلائل الاعجاز ٥١ .

٢٤ ـ المصدر نفسه ، ٧١ .

٢٥ ـ عبدالقاهر الجرجاني ، دلائل الاعجاز ، ٧٤ ومابعدها .

٢٦ ـ ظ : المصدر نفسه ، ٨٢ ومابعدها .

٢٧ ـ عبدالقاهر الجرجاني ، دلائل الاعجاز ٨٣ .

٢٨ ـ ظ : المصدر نفسه ، ١٠٤ ـ ١٣٨ .

٢٩ ـ ظ : المصدر نفسه ، ١٦١ .

٣٠ ـ ظ : المصدر نفسه ، ٢١٥ ـ ٢٤٤ .

٣١ ـ ظ : عبدالقاهر الجرجاني ، دلائل الاعجاز ، ٣٣٣ ـ ٣٤٠ .

٣٢ ـ ظ : المصدر نفسه ، ٣٣٣ .

٣٣ ـ ظ : المصدر نفسه ، ٣٣٢ .

الفصل الثالث

المعاني بين النحو والبلاغة

١ ـ معاني النحو

٢ ـ معاني البلاغة

٣ ـ رأي في مناهج المعاني

معاني النحو : ـ

لو استعرضت كتب النحـو بعامـة القديم منهـا والحديث الموصل فيها والمجدد ، لوجدت كلمتي (معنى ومعاني) متواكبـة مع قضـايا النحـو في استعمال معنى الشيء ومعنى الـدلالات ومعاني الاعـراب في الاسماء والافعال والحروف ولو رجعت الى ايام دراستك لوجدت ما هو عالق بذهنك على الشكل الاتي : ـ

معنى المعنى

افادة معنى الحال

افادة معنى الاستقبال

افادة معنى الزمن

افادة معنى الجملة

افادة معنى الامر

افادة معنى الطلب

افادة معنى النهي

افادة معنى الدعاء

افادة معنى التمني

افادة معنى الترجي

افادة معنى التعجب

افادة معنى الاستفهام

افادة معنى الشرط

افادة معنى الجزم

افادة معنى الحدث

افادة معنى التحقيق

افادة معنى التعليل

افادة معنى الوصف

افادة معنى الظرفية

مضافا الى العبارات التالية : معنى الاسماء ، معاني الافعال ، معاني الحروف ، معاني الصرف ، حروف المعاني ، اسماء المعاني . . . الخ .

ان هذا السيل من استعمال المعاني في معاني النحو خاصة لاسبيل الى تجاهله ، ولم يكن ذلك كذلك لو

يكن علم المعاني على حقيقة من علم النحو ، ان المباحث التي تفرغ لها علم النحو في المعاني هي بعينها التي اشبعها البلاغيون بحثا اسموه : بعلم المعاني ، الا ان نظرة فاحصة الى الموضوع تقتضي التدبر والفصل في الموضوع على اساس علمي رصين ، فهي مباحث نحوية عليها مسحة بلاغية ، او فقل هي معانٍ نحوية حسنها البلاغيون بتتمات بيانية ، وحاولوا اخراجها بصيغة جديدة يصلح ان تسمى في ضوء ماحققوه : « معاني النحو البلاغية » فلو اعدت النظر في هذا مرة ثانية ، لوجدت النحويين انفسهم قد قصروا في مجال معاني النحو فتركوها على علاتها جامدة دون تزيد بياني او صقل اسلوبي ، او معنى اضافي ، مما شجع علماء البلاغة على استغلال هذا الجانب في استيفاء حقه المضاع ، فعاد من حصة البلاغة وهو جزء مقتطع من النحو ، فكأن مهمة النحو القوقعة والجمود والفظاظة ، فاذا طرء عليه سحر اسلوبي ، او روح تعبيري خرج الى شيء اخر ، هذا

مادعا الدكتور الجواري الى القول : ـ وهو بازاء دراسة نحو الفصل ـ « وثمة امر اخر لابد من توكيده على كل حال ، ذلك هو توكيد العناية بالمعاني ، واعني بها معاني النحو التي استقلت عند علماء العربية بعلم من علوم البلاغة ، حتى جعلت من النحو مايصح بأن يوصف بأنه هياكل لاتنصرف العناية بدراسة ماتشتمل عليه من حياة وحركة ، وحتى صار الاعراب هو دليل المعاني ، يدرس بمعزل من تلك المعاني ، فلا يوصل بها ولايستعان به على ادراكها ، او يستعان بها على فهمه واستيعاب مسائله وقضاياه »[1] .

وهو ينحو باللائمة على علماء النحو اذ قصروا في بيان العمق الدلالي لمباحث المعاني ، حتى جعلوها تتحول بطبيعة البحث التفصيلي الى علماء البلاغة ، وهو حينما يبحث قضايا الاسناد في الجملة يعقب على ظاهرتي الخبر والانشاء فيها ، وهما من صلب النحو ـ يعني عدم تحرير هذه المسائل من ربقة الجمود اللفظي الى رحاب

التعبير الدلالي من وجوهه كافة فيقول : « ثم يأتي من بعد ذلك تقسيم اخر يتناول الجملة من حيث وجود مدلولها في الخارج او عدم وجوده ، وهذا هو الذي اصطلح علماء البلاغة على تسميته بالخبر والانشاء ، فجملة الامر ، والنهي ، والدعاء ، والتمني ، والترجي والاستفهام ، ونحو ذلك من اساليب الانشاء تتوزعها ابواب النحو تبعا للاعراب وحركة اخر الكلمة . وقلما يخوض النحاة في التفريق بين هذه الاساليب واساليب الخبر ، وفي ذلك مافيه من تحيف للمعاني ، وخلط بين التراكيب دون الاعتبار بما تؤديه من المعاني ، وهذا هو العلم الذي يسلم النحو الى حال بعيدة عن وظيفته من دراسة التراكيب وفهم طبيعتها ، بحيث تثمر تلك الدراسة قدرة على الفهم الدقيق والذوق السليم لاساليب العربية من جهة ، وقدرة على التعبير الصحيح المصيب عن الافكار والمشاعر على النحو الذي نحاه العرب ، القصد الذي قصدوا اليه »[٢] .

قدم البلاغيون ـ فيما يبدو ـ على مادة ضخمة ولكنها اولية في التصنيف ، فنقحوها والحقوها بالمباحث البلاغية دون الجنوح الى القول بأنها اصول نحوية قالبا واسلوبا وتعبيرا .

ان مسحا احصائيا لما اورده عبدالقاهر في « دلائل الاعجاز » وتأكيده على تسمية مباحثه هذه « معاني النحو » يوصلنا الى حقيقة الاصل النحوي بعلم المعاني ، وان كان هذا الاصل مزيجا بلمسات بلاغية حينما ادخل عليه التعبير المرن ، والسبك الرصين باسلوب كاسلوب عبدالقاهر ممن اوتوا نصيبا كبيرا من الذائقة الفنية .

فلو قمنا بجهد استقرائي لهذه المباحث على اساس تقسيم السكاكي (ت : ٦٢٦ هـ) والقزويني (ت : ٧٣٩ هـ) ولو اخترنا القزويني في حسن تنظيمه وترتيبه وتصنيفه لوجدنا احوال الاسناد الخبري ، واحوال المسند اليه ، واحوال المسند ، وهي ثلاثة ابواب من

مباحث علم المعاني عنده لوجدناها جميعا تدور حول الجملة الاسمية والفعلية فحسب ، فالمسند اليه اسم دائما ، والمسند : اما اسم ، واما فعل ، واما ظرف واما جار ومجرور وهما الجملة العربية التي يصح عليها السكوت ، ومابحثه من التنكير والتعريب ، والذكر والحذف ، والتقديم والتأخير ، فانما هي عوامل اعرابية تشخص المراد في اهميته ، او تعظيمه ، او تحقيره ، او تخصيصه او عمومه ، وهي مباحث لاتتعدى النحو الا تجوزا .

واما الباب الرابع ، وهو ، احوال متعلقات الفعل فهو باب نحوي في جميع جزئياته وشتات حيثياته ، كالفعل في حالة مع الفاعل والمفعول به ، والفعل المتعدي الذي حذف مفعوله ، والغرض من اثبات المعنى في ذاته للفاعل ، او الغرض من افادة تعلقه بمفعول ما ، والقصد الى التعميم في المفعول ، وامر الحذف وعدمه ، وتقديم المفعول ونحوه ، وكون

التخصيص لازما للتقديم ، وافادة التقديم للاهتمام ،
التخصص ، وكذلك تقديم بعض معمولات الفعل ء
بعض ، وتقديم الفاعل على المفعول . . . الخ .

ولايشك احد ان هذه التفريعات من اصو
النحو في وجوه ، وان كانت من فروع البلاغة وعا
الاصول من وجه اخر وهذا الوجه غير مسلم به الا ع
سبيل التوسع في المعاني بالتماس جماليات النص ،
دلالات الالفاظ .

والقول في القصر لايعد ماسبق في تحقيقه الا ؛
افادة المخاطب بعض الحالات ، كقصر الصفة عل
الموصوف ، او التعيين والافطرقه نحوية كالعطف
والنفي والاستثناء ، نعم قد تستفاد بعض الشذرات
البلاغية من القصر كتنزيل المجهول منزلة المعلوم كما في
قوله تعالى : « انما نحن مصلحون »[3] .

قال القزويني : ـ (ادعوا ان كونهم مصلحين
ظاهر جلي ولذلك جاء « الا انهم المفسدون »[4] للر

عليهم مؤكدا بما ترى : من جعل الجملة اسمية ، *وتعريف الخبر باللام ، وتوسيط الفعل ، والتصدير* بحرف التنبيه ، ثم بـ (ان) »[٥] .

ولكنها شذرات بلاغية مستفادة من استعمال نحوي لاتنهض ان تكون الاصل والنحو فرعها ، بل هي الفرع والنحو اصلها ، وكذلك الحال بالنسبة لتنزيل المعلوم منزلة المجهول لاعتبار مناسب كما في قوله تعالى : « وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل »[٦] . (اي انه صلى الله عليه وآله وسلم مقصور على الرسالة لايتعداها الى التبري من الهلال ، نزل استعظامهم هلاكه منزلة انكارهم واياه »[٧] .

اما قصر الفاعل على المفعول ، وقصر المفعول على الفاعل ، فعنوانهما يدل عليهما في وضوح تعلقهما بمادة النحو جملة وتفصيلا .

واما باب الانشاء بشقيه الطلبي وغير الطلبي . فيعتمد ادوات الاستفهام ، ولو ، وما ، ومن ، وكم ،

وأي ، وكيف واين ، وأنى ، ومتى ، وإيّـان ، وهـي تبحث في حروف المعاني او معاني الحروف ، وقد استقل في ذلك مضافا الى علماء النحو علماء الاصول فحققوا في موضوع المعنى الحرفي بما لامزيد عليه ، حينما تستعمل هذه الالفاظ في غير معانيها الموضوعة لها ، او في معانيه بالذات وفي دلالاتها كافة[٨] .

واما الامر باعتباره من انـواع الانشاء ، فـإنما يستعمل اصلا في النحو للدلالة على الطلب ، ومنارا في استنباط الاحكام الشرعية عند الاصوليين في دلالته على الوجوب تارة ، وعلى الاستحباب تارة اخرى ، اما هذه الوجوه التحسينية الاخرى ، كـاستعمال الامـر في غير صيغـة الطلب ، للرجـاء او التهديـد ، او التعجيز او التسخير ، او الاهانـة ، او التسويـة ، او التمني ، او الدعاء ، او الالتماس . . . الخ فإنما دلت عـلى ذلك بطبيعة صيغتها النحوية ودلالتها الاستعمالية كما تفيده قرائن الاحوال[٩] .

ومايقال عن الامر يقال عن النهي بجزئياته عامة بقي عندنا من مباحث علم المعاني بابان هما : ـ

الباب السابع في الفصل والوصل ، والباب الثامن في الايجاز والاطناب والمساواة .

والحق ان هذين البابين يشتملان على مباحث بلاغية مهمة وان كانت عليهما بعض السمات النحوية ، لذا يبدو ان الحاقهما بعلم البيان هو اولى بالعربية فلتكن الابواب الستة السابقة معاني النحو وليكن باب الوصل والفصل ، وباب الايجاز والاطناب والمساواة ملحقين بأركان البيان الاربعة ، وهي : المجاز والتشبيه والاستعارة والكناية لتعود ابواب البيان ستة ايضا . وبذلك تتكافوء ابواب المعاني كأصول نحوية فيها لمسات بلاغية بستة ابواب ، وابواب البيان كاصول بلاغية عليها مسحات نحوية بستة ابواب .

ان هذا المنحى يعود باصول كل فن الى العلم المتوجه اليه ، ويضعه موضعه المناسب ، وليس في ذلك

خروج على قواعد منصوصة او نصوص مفروضة ، بل العكس هو الصحيح في عائدية كل شيء الى ينابيعه الاولى دون تزيد او اضافة .

ولما كانت ابواب المعاني الستة السابقة ، قد بحثت انفا ، ووجدناها متأصلة المناخ مع النحو ، فان بابي الوصل والفصل ، والايجاز والاطناب والمساواة ، يحتاجان الى بسط القول لالحاقهما باصول البلاغة عسى ان يكون ماقدمناه مقاربا الى القصر والاعتدال منه الى التفريط والاسفاف .

* * *

معاني البلاغة : ـ

ان مبحث الوصل والفصل من المباحث المهمة التي تتحكم البلاغة بمواضعها المتأطرة بإطار مقتضيات المقام ، فلا يُوصل بموضع الفصل ، ولا يفصل بمحل الوصل ، « وتمييز موضع احدهما من موضع الاخر على

ماتقتضيه البلاغة فن منها عظيم الخطر ، صعب المسلك ، دقيق المأخذ ، لايعرفه على وجهه ، ولايحيط علما بكنهه الا من اوتي فهم كلام العرب طبعا سليما ، ورزق في ادراك اسراره ذوقا صحيحا ، ولهذا قصر بعض العلماء البلاغة على معرفة الفصل من الوصل ، وماقصرها عليه لان الامر كذلك ، وانما حاول بذلك التنبيه على مزيد غموضه ، وان احدا لايكمل فيه الاكمل في سائر فنونها ، فوجب الاعتناء بتحقيقه على ابلغ وجه من البيان »[١٠] .

هكذا يقول القزويني (ت : ٧٣٩ هـ) وقوله هذا ينم عن التصاق هذا الفن بالذات بعلم البلاغة من جهة ، وهو امتداد لاراء علمائنا السابقين من جهة اخرى .

فالجاحظ (ت : ٢٥٥ هـ) قد اورد ان البلاغة (معرفة الفصل من الوصل)[١١] .

وابو هلال العسكري (ت : ٣٩٥ هـ) اورد عن

المأمون : ان يكون البليغ بصيرا بمقاطع الكلام ، ومواضع وصوله وفصوله ، فان البلاغة اذا اعتزلتها المعرفة بمواضع الفصل والوصل كانت كالآلي بلانظام[١٢] .

واورد ايضا : قف عند مقاطع الكلام وحدوده ، واياك ان تخلط المرعي بالمهمل ، ومن حلية البلاغة المعرفة بمواضع الفصل والوصل[١٣] .

واقدم ما وصلنا من نص في هذا المعنى ، ان اكثم ابن صيفي اذا كاتب ملوك الجاهلية ، يقول لكتابه : « افصلوا بين كل معنى منقض ، وصلوا اذا كان الكلام معجونا بعضه ببعض »[١٤] .

ولانريد ان نطيل بعرض اراء القوم بالفصل والوصل وعلاقتهما الاكيدة بالبلاغة ، بقدر ماتزيده من التحقق في هذه الدعوى من خلال مباحث الفصل والوصل .

ولعل عبدالقاهر الجرجاني (ت : ٤٧١ هـ) هو

المجلي في هذا المضمار ، والفارس المتقدم في هذا الميدان وهو يضع الفصل والوصل في موضع الندوة من الفن البلاغي فيقول : « اعلم ان العلم بما ينبغي ان يصنع في الجمل من عطف بعضها على بعض ، او ترك العطف فيها ، والمجيء بها منثورة تستأنف واحدة منها بعد اخرى ، من اسرار البلاغة ، ومما لايتأبى لتمام الصواب فيه الا الاعراب الخلص ، ، والاقوام طبعوا على البلاغة ، واوتوا فنا من المعرفة في ذوق الكلام هم بها افراد ، وقد بلغ من قوة الامر في ذلك انهم جعلوه حدا للبلاغة . . . وذلك لغموضه ودقة مسلكه وانه لايكمل لاحراز الفضيلة فيه احد الا كمل لسائر معاني البلاغة »[١٥] .

اوضح عبدالقاهر في هذا النص عدة ملامح : ـ

١ ـ ان الوصل هو عطف الجمل بعضها على بعض .

٢ ـ ان الفصل هو ترك العطف فيها والمجيء بها منثورة .

٣ ـ ان العلم بهذا الفن من اسرار البلاغة .
٤ ـ ان ادراك هذه الابعاد متكاملة ، من مميزات العرب الاقحاح ممن طبعوا على البلاغة فطريا .
٥ ـ ان الذائقة الفنية عند العرب هي التي جعلتهم متخصصين في معرفة الفصل والوصل .
٦ ـ ان الخبرة في الفصل والوصل ومواقعهما من المسالك الدقيقة والمسائل الغامضة التي تحتاج الى خبرة ونظر .
٧ ـ ان العرب اعتبروا الفصل والوصل حدا للبلاغة .
٨ ـ ان الاسبقية واحراز الفضيلة فيهما تعني اكتمال سائر معاني البلاغة .

هذه الملامح جلية في ان معرفة الفصل والوصل شيء ، ووضعهما في موضعهما من التركيب الجملي شيء اخر . الوصل هو العطف ، والفصل هو ترك العطف ، ومعرفة العطف وتركه ليس مما يستدعي هذا البيان في وصف الفصل والوصل ، وانما هناك امر اخر ذو اهمية بلاغية ، الامر الاخر هو الخبرة بموقعهما من الكلام

والتمرس بصياغتهما في فن القول ، ولايراد بذلك جهة الاعـراب فهو امـر ساذج ، فـالمعطوف عـلى المـرفـوع مرفوع ، وعلى المنصوب منصوب وعلى المجرور مجرور ، وحكم المفرد ، وحكم الجملة فيه مشتركان ، اما على المعطوف او على المحل كما هو مزبور في كتب النحو .

اذن هناك ميزة اخرى هي التي جعلت عبدالقاهر وهو يتحدث عن معاني النحو ان ينتقل الى اسرار البلاغة في معـرفة الـوصل من الفصـل ، وكأنـه يشـير الى ان التركيب افراديا كان او جمليا في عطفه او تركه يجب ان يخضع لمواصفات يتحكم فيها الذوق السليم ، والفطرة البكر ، في اكتشاف سـر الوصـل وكنه الفصـل ، اما الاشتراك في الاعراب بالواو او الفاء وغيرهما فهي مسألة نحوية ليست ذات بال ، واما الاستئنـاف دون عطف فيعني عدم الاشتراك في الحكم والاتيان بحكم جديـد مستقل ، وهذان ملحظان نحويان لاتعقيد بهـما ، ولا جمال باستقرائهما ، بينما نجد هذا المبحث مرتبطا بفهم

خاص ، واستطلاع جلي ، يكشف خفائه ويستقري مبهماته لذا نجد عبدالقاهر نفسه يقول : ـ

« واعلم انه ما من علم من علوم البلاغة انت تقول انه فيه خفي غامض ، ودقيق صعب ، الا وعلم هذا الباب اغمض واخفى وادق واصعب وقد قنع الناس فيه بأن يقولوا اذا رأوا جملة قد ترك فيها العطف : ان الكلام قد استؤنف وقطع عما قبله لاتطلب انفسهم منه زيادة على ذلك ولقد غفلوا غفلة شديدة »[١٦] .

هناك اذن ـ ما هو اهم من هذا ، وهو ان الكلام العربي حينما يصاغ ويأخذ موقعه في العبارات والجمل ، فاننا نخلص فيه الى بيان حال من الاحوال ، او ريادة حقيقة من الحقائق ، وذلك مما لايتأتى بالاستقلال في المعاني التي يراد طرحها ، وهذه المعاني على سبيل من الذائقة اكثر مما هو علامة اعرابية ، او مسألة شكلية تتعلق بالمؤشرات الخارجية ، وموقع الوصل ومقتضى الفصل هو الذي يحقق ذلك ، فانى نتوصل الى هذا

الموقع وذلك المقتضى ، ومتى يستعملان ليكسبا النص سلامة وعذوبة وذائقة لانلتمسها من خلال النحو وتفصيلاته بل من خلال التركيب الفني وتناسقه ، فإن شئت رددته الى معاني النحو ، وان شئت رددته الى مدارج البلاغة ، ولكنه بالبلاغة اوصل ، والى معانيها انسب ، ونقول ببساطة : ان كان هنالك جامع بين الامرين ، فالوصل هو المتعين ، وان لم يكن هناك جامع بينهما فالفصل هو المتعين ، هذا هو الاغلب ، وقد يكون العكس في بعض الحالات ، واكتشاف هذا الجامع من مهمة البلاغي لا النحوي وان كان الامران متصلين تماما او منفصلين تماما فالفصل هو المرجح وان كانا منزلة بين منزلتين ، او حالا بين حالين فالعطف سبيلهما .

مهمة البلاغي هنا توحيد النص فيما يناسب مقتضى الحال ومهمة النحوي هناك اشراكهما في حكم ، والاول يقتضى اعمال الفكر وتمحض خطرة ، والثاني استيعاب احكام الاعراب ، والفضيلة

للاول استنادا الى الخبرة والذائقة ، ولا مزية للثاني لانه مبني على قواعد ثابتة .

خذ مثالا رائعا للوصل في سورة التكوير : -

« بسم اللّه الرحمن الرحيم * اذا الشمسُ كوّرَتْ * واذا النجومُ انكدرَتْ * وإذا الجبالُ سُيِّرت * وإذا العِشارُ عُطِّلَتْ * وإذا الوحوشُ حُشِرتْ * وإذا البحارُ سُجرِّتْ * وإذا النفوسُ زُوِّجَتْ * وإذا الموؤدةُ سُئِلَتْ * بأيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ * وإذا الصُحفُ نُشِرَتْ * وإذا السماء كُشِطَتْ * وإذا الجَحيمُ سُعّرَت * وإذا الجنَةُ أُزلِفَتْ * عَلِمَتْ نَفْسٌ ما أحضَرَتْ . . . »[17] .

فستجد القرآن في هذه الايات المباركة ، قد جمع أشتاتا وعوالم كثيرة ، وكائنات متعددة للتعبير عن دقائق التغيير الكوني والجمع الكلي لحيثيات متنوعة في يوم واحد . وهو يوم القيامة الذي يضم موضوعا واحدا وهو يحشر الخلائق على صعيد واحد ، ومن هنا نجد الفرق بينه وبين مثال الفصل الذي اختاره عبدالقاهر من القرآن

الكريم ، قال تعالى : « قالَ فرعونُ ومارَبُّ العالَمينَ * قال رَبُّ السمواتِ والارضِ ومابَيْنَهما إنْ كُنْتُم موقنِينَ * قالَ لِمَنْ حَوْلَهُ ألاَ تَسْتَمِعُون * قالَ رَبُّكُمْ ورَبُّ آبائِكم ألأوَّلِينَ * قالَ إن رَسُولَكُم ألذي أُرسِلَ إلَيْكمُ لمجنُونٌ * قالَ رَبُّ ألمشرِقِ وَالمغْربِ وَمَابَيْنَهُمَا إنْ كُنْتُم تَعقِلُون * قالَ لئِن آتَّخَذْتَ إلهاً غيري لأجعَلَنَّكَ مِنَ المَسجونِينَ * قالَ أوَ لـوجِئْتُـكَ بشيءٍ مُبِـينٍ * قـالَ فـأتِ بِـهِ إنْ كُنْتَ مِنَ آلصَّادِقِينَ) . (١٨)

فهذه العبارات المتطاولة على حسن تناسقها الفني وتراصفها البياني جاءت منفصلة بترك العطف ، لانها تمثل مناخا نصيا خالصا للدلالة على استقلالية كل جملة بذاتها ، وتماسك كل اية بمعنى من المعاني الخاص بها وقد تعلق الجميع برباط قولي متناسب فيه حـذف واضمار وتقدير في السؤال والجـواب والترصـد ، فجاءت كـل عبارة علما للدلالة على ذلك المخزون البلاغي في الصيغ والاشارات ، بخلاف الوصل الذي يجمع بين الامرين

ويوحد بين المشتركين ، لذا نجد القزويني معترفاً بهذه الحقيقة في احتياج صاحب علم المعاني الى التنبه لانواع المقادير الجامعة في حالة الوصل ، ناظرا الى طبيعة الاشياء في تحقيق التقاء الامرين الذين بينهما البعد الكبير ، كالابل والسماء والجبال والارض في قوله تعالى : ـ

« أفَلاَ يَنْظرونَ الى الابل كَيْفَ خُلقَتْ * والى السَماء كَيْفَ رُفِعَتْ * والى الجبالِ كَيْفَ نُصَبَتْ * والى الارض كَيْفَ سُطِحَتْ »[١٩] .

وبالنسبة الى اهل الوبر فان جل انتفاعهم في معاشهم من الابل ، فتكون عنايتهم مصروفة إليها ، وانتفاعهم منها لايحصل الا بان ترعى وتشرب وذلك بنزول المطر ، فيكثر تقلب وجوههم في السماء . ثم لابد لهم من مأوى يأويهم ، وحصن يتحصنون به ، ولاشيء لهم في ذلك كالجبال ، ثم لاغنى لهم لتعذر طول مكثهم في منزل عن التنقل من ارض الى سواها ، فاذا فتش

البدوي في خياله وجد صورة هذه الاشياء حاضرة فيه على الترتيب المذكور »[٢٠] .

وما كان هذا شأنه فإن الانقطاع لايلائم مقتضياته البيانية والانفصال لايستقيم له ، فكان الاتصال سبيله فنا بلاغيا ، لاقاعدة نحوية . ومن هنا ندرك ما استنبطه عبدالقاهر في هذا المجال ، اذ قسم الجمل على ثلاثة اضرب : ـ جملة لايستقيم معها عطف ، وجملة حقها العطف ، وجملة حقها ترك العطف « وترك العطف يكون : اما للاتصال الى الغاية ، او الانفصال الى الغاية والعطف لما هو واسطة بين الامرين ، وكان له حال بين حالين »[٢١] .

* * *

واما الايجاز والاطناب فهما مبحثان بلاغيان من خلال التماس روافدهما البيانية ، لان اثرهما الخارجي ينصب حول الشكل في النص الادبي ، في تأديته للمعنى المراد ، اذ يدور حول زيادة الالفاظ في الاطناب ،

واختـزالها في الايجـاز ، وهـذان المـدركـان بـطبيعتهـما الاستعمالية بعيدان عن معاني الاعراب .

فالايجاز كما حدده الـرماني (ت : ٣٨٦ هـ) : « تقليل الكلام من غير اخلال بالمعنى ، واذا كان المعنى يمكن ان يعبر عنه بالفاظ كثيرة ويمكن ان يعبر عنه بالفاظ قليلة ، فالالفاظ القليلة اجياز »[٢٢]

وقال عبدالقـاهر (ت : ٤٧١ هـ) : « لامعنى للايجاز الا ان يدل بالقليـل من اللفظ على الكثـير من المعنى »[٢٣] .

وعـلى هذا فـالالفاظ الكثيـرة اطناب في مقـابل اختصار الكلام وقصره على المعنى المراد بالالفـاظ التي وضعت ازاءه مع امكان زيـادتها وتكثيـرها وذلـك هو الايجاز وبحصر مفهوم الايجاز بقلة الالفـاظ ، ومفهوم الاطنـاب بكثرتهـا ، يظهـر مفهوم المسـاواة ايضـا . . بملائمة الالفاظ لمعانيها دون زيادة او نقصان : فقد قال الخـطيب القـزويـني (ت : ٧٣٩ هـ) : « والمـراد

بالمساواة : ان يكون اللفظ بمقدار اصل المراد لاناقصا بحذف او غيره . . . ولا زائدا عليه بنحو تكرير او تتميم او اعتراض »[٢٤] .

فاذا كان الايجاز اداء للمعاني بعبارات اقل ، والاطناب اداء لها بعبارات اكثر ، والمساواة قصر الالفاظ على المعاني بلا قلة ولاكثرة ، فالمسألة اذن مسألة بلاغية لاعلاقة لها بمعاني النحو .

وما يؤيد هذا الاتجاه اهتمام البلغاء والحكماء بالايجاز في سياق التأكيد على قيمته البلاغية .

فلقد اشار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الى الايجاز بلفتةٍ بارعة حينما سمع رجلا يقول لرجل : « كفاك الله ما اهمك » فقال رسول الله (ص) : هذه البلاغة »[٢٥] .

فعبارة : كفاك الله ما اهمك ، موجزة بالتعبير عن المعنى المراد بقصر اللفظ على المعانى ، وهي جامعة مانعة كما يقول المناطقة ، ويبدو ان رسول الله (ص) ـ ان صح

الخبر ـ قد اعجب بها بل بايجازها لاشتمالها على المعنى الكثير باللفظ القليل ، فقال : هذه البلاغة .

وقال امير المؤمنين الامام علي بن ابي طالب عليه السلام : ـ

« مارأيت بليغا قط الا وله في القول ايجاز ، وفي المعاني اطالة »[٢٦] .

وهذا النص تقسيم دقيق للكلام باعتباره حقيقتين تكوينيتين هما : الالفاظ والمعاني منذ عهد مبكر ، وتحديد للايجاز بأنه اختصار في القول وتطويل للمعاني ، وبذلك يكون الامام علي سباقاً الى هذين المفهومين : المفهوم النقدي الاول ، والمفهوم البلاغي الثاني .

وهناك شذرات متناثرة هنا وهناك في هذا المعنى يتعاقب عليه الخلف عن السلف .

قال ابن المقفع : « الايجاز هو البلاغة »[٢٧] .

وقال غيره : « البلاغة حسن الاقتضاب عند البداهة ، والغزارة عند الاطالة »[٢٨] .

وهو جمع بين اداثين للايجاز والاطناب .

ويكاد يجمع الحكماء ان البلاغة هي الايجاز ، وهناك جملة من التعبيرات المختلفة عن هذا الملحظ بمعنى واحد .

١ ـ البلاغة قول يسير يشتمل على معنى خطير .

٢ ـ البلاغة حكمة تحت قول وجيز .

٣ ـ البلاغة علم كثير في قول وجيز[٢٩] .

٤ ـ وقيل لبعضهم ما البلاغة ، فقال : الايجاز ، قيل وما وما الايجاز ، قال حذف الفضول وتقريب البعيد.

٥ ـ وقال اصحاب الايجاز : الايجاز قصور على الحقيقة ، وماتجاوز مقدار الحاجة فهو فضل داخل في باب الهذر والخطل[٣٠] .

ولايعني هذا التأكيد على الايجاز ، فرز الاطناب من دائرة البلاغة او ذم المساواة ، بل قد يراد الاطناب في مواضع التحذير والوعد والوعيد كما صنع القرآن الكريم في تحذير المنافقين ، واهل الكتاب والمسلمين انفسهم في

فصول مسهبة من القرآن ، حذرهم من ان يصيبهم ما اصاب الامم السالفة والاقوام البائدة من عذاب الاستئصال .

وكما وعد المتقين بالجنات واطنب في صفاتها ونعيمها ، وظلالها واشجارها وانهارها ، واستقرارها ودوامها ، وأكلها وشرابها . . . الخ وكما اوعد المجرمين بالنار ووصف سمومها ، وحميمها وغسّاقها ، وشجرها وماءها ، واهوالها واخطارها ، بما يعد اطنابا في المواضع التي فيها الاطناب اليق . وكذلك ساوى بين الالفاظ والمعاني بمختلف الصيغ والتراكيب البيانية ، وهذا هو الاصل المتوافر لكلام الله تعالى في كتابه المجيد ، ايجازا في موضع الايجاز ، واطنابا بمراصد الاطناب ، ومساواة بين الامرين .

اذن فكما تحتاج البلاغة في الكلام الى الايجاز فإنها تحتاج الى الاطناب ، فليس الاطناب من منافيات البلاغة ، ولا الايجاز ـ وحده ـ اساس البلاغة ، فوضع

الالفـاظ في مـوضعهـا المنـاسب من البيـان بحسب مقتضيـات الخطاب هـو البلاغـة سـواء اكـان في تلك الالفاظ تطويل ليعود الكلام مطنبا ام تقليل ليكون الكلام مـوجزا ، فكـما يحتاج البليـغ في تـأديـة المعنى الى لفظ موجز ، فهو بحاجة الى تأديته بألفاظ متعددة ليبلغ بذلك الكلام كماله على الوجه المراد .

وكما يحتاج البليـغ الى الايجاز في مـوضـع ، والى الاطناب في موضع ، فإنه يحتاج الى المساواة في الكلام بقصر الالفاظ على المعاني ، بل بتساوي اللفظ لمعناه ، بعيدا عن الايجاز المخل ، او الاطناب الممل كما يقال .

قال ابو هلال العسكري (ت : ٣٩٥ هـ) : ـ

« والقول القصد ان الايجاز والاطناب يحتاج اليهما في جميـع الكلام وكـل نوع منـه ، ولكل واحـد منهـما موضع ، فالحاجة الى الايجاز في موضعه كـالحاجـة الى الاطنـاب في مكانـه ، فمن ازال التدبـير في ذلك عن جهته ، واستعمل الاطناب في موضع الايجاز واستعمل

الايجاز في موضع الاطناب اخطأ »[٣١]

فمن خلال هذه المفاهيم المتقدمة ، بارتباط المعنى باللفظ قلة وكثرة او مساواة ، يظهر ان مباحث الايجاز والاطناب والمساواة لاعلاقة لها بمعاني النحو في وجه من الوجوه ، فاذا لاحظنا ـ عن كثب ـ موضوعات ومضامين هذه الجزئيات خرجنا بنتيجة ضرورة الحاق هذه المباحث بالبلاغة لا بالنحو دون سائر المعاني المتقدمة .

فمباحث الايجاز تشتمل على مايلي : ـ

أ ـ ايجاز القصر ، وهو ماليس بحذف .

ب ـ ايجاز الحذف ، وهو مايكون بحذف .

والمحذوف اما جزء جملة او جملة او اكثر من جملة[٣٢] .

اما ايجاز العصر ، فهو قصر اللفظ على المعنى المراد ، باختصار عباراته واختزال حروفه ، وقد مثلوا له بقوله تعالى : « ولكم في القصاص حياة يا اولي الالباب »[٣٣] . وبقوله تعالى : « خذ العفو وامر بالعرف

واعرض عن الجاهلين »[٣٤] .

وهاتان الأيتان من امثلة ايجاز القصر عند اغلب البلاغيين ، ولايتعلق بهما موضوع بمعاني النحو .

وانما تبحث الاولى على اساس عدة حروفها ، وتصريحها بالمطلوب ومايفيده تنكير « حياة » للتعظيم واطرادها ، وسلامتها من التكرار ، واستغناؤها عن الحذف ، والطباق في عبارتها ، وجعل القصاص كالمنبع والمعدن للحياة[٣٥] .

وهذه المحاسن تتعلق بسلامة النص ، وخلوصه من التعقيد والتكرار ، وقلة حروفه ! واداثه المراد بايجاز ، وحسن وقعه في النفوس للاطراد والطباق وموازنه الحياة للقصاص ، وكلها اعتبارات بلاغية تقرب النص من النفس الانسانية جودة وسلاسة ومرونة مع وضوح ودقة وايجاز .

بقي تنكير « حياة » ولم ينظر اليه بموقعه النحوي بقدر مانظر اليه بتعيين نوعية الحياة الهادئة ، وتعظيم

شأن الحياة الخالية من الاعتداء الهزؤ والجبروت وهو ملحظ بياني يقرب الوقع الموسيقي في اللفظ الى الذائقة الفطرية عند المتلقي ، كما انه طريقة من طرق اداء المعنى المراد بصور متعددة فيما يبدو .

واما الاية الثانية ، فإنها جمعت مكارم الاخلاق من اطرافها ، في الاخذ بافضلها ، والامر بأسماها ، والاعراض عن الجهلة ، قال القزويني : ـ « ولهذا قال جعفر الصادق عليه السلام (ت : ١٤٨ هـ) فيما روي عنه : امر الله نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بمكارم الاخلاق ، وليس في القرآن آية اجمع لها من هذه الآية »[٣٦] .

ووقع هذه الاية من النفس الانسانية المطمئنة موقع الماء من ذي الغلة الصادي ، ولايعود هذا الاثر فيها لتركيب نحوي ، او وضع اعرابي ، بقدر مايعود الى الاثر النفسي العائد الى بلاغتها وسلامتها من الحشو والتطويل والاخلال .

واما ايجاز الحذف ، فقد يحذف فيه المضاف وقد يحذف الموصوف ، وقد تحذف الصفة ، وقد يحذف جواب الشرط ، وقد يحذف جزء من اجزاء الجملة ، وقد يحذف غير ذلك ، فيكون الايجاز موسوما بحذف مضمون الجملة ، بالمسبب بعد ذكر السبب ، او بالسبب بعد ذكر المسبب ، وقد يكون الايجاز بحذف اكثر من جملة[٣٧] .

ولو دققت النظر في هذا الحذف ، وتسلمت الايجاز في هذه الاحوال كافة ، لوجدت المزية فيه لما افاده من معنى بلاغي ، في لفظ موجز ، وبيان مقتضب ، استوى كل ذلك على الوجه المراد ، ولوجدت تحقيق القوم فيه دائراً حول تخير الفاظه ، او دقة استعارته او جودة كفايته ، ولم يتعرض احد لموقعه الاعرابي وتأثيره هذا الوقع وحده ـ في تخير هذا الايجاز .

لقد اطال كل من السكاكي والقزويني ومن قبلهما الزمخشري في بيان وجه بلاغة قوله تعالى : ـ (ربِ إني

وَهَن ألعظمُ مني واشتَعَلَ الرأسُ شيباً)[٣٨] . . فقد عدّه السكاكي من القسم الثاني من الايجاز ذاهبا الى انه وإن اشتمل على بسط فـان انقراض الشبـاب والمام الشيب جديران بأبسط منه ، ثم ذكر ان فيه لطائف يتوقف بيانها عن النظر في اصل المعنى ومرتبته الاولى[٣٩] .

وافاض القزويني بايراد بلاغة الاية في خمسة عشر ملحظا بلاغيا دقيقا تحدث فيها بـاسهاب عن الجمـال التركيبي والمعنوي واللفظي للآية بما لامزيد عليه ، ثم عاد الى طريقته فقال : « واعلم ان الذي فتق اكمام هذه الجهات من ازاهير القبول في القلوب : هو ان مقـدمة هـاتين الجملتـين وهي « رب » اختصـرت ذلـك الاختصـار ، بأن حـذفت كلمة النـداء ، وهي « يا » وحذفت كلمة المضاف اليه ، وهي ياء المتكلم ، واقتصر من مجموع الكلمات على كلمة واحدة فحسب ، وهي المنادى ، والمقدمة للكلام ـ كما لايخفى على من له قدم صدق في نهج البلاغة ـ نازلة منزلة الاساس للبناء ، فكما

ان البناء الحاذق ، لايرمي الاساس الا بقـدر مايقدر من البناء عليه ، كذا البليغ يصنع بمبدأ كلامه ، فمتى رأيته قـد اختصر المبدأ ، فقد آذنك باختصار مايورد »[40] .

وكان السكاكي قد ارجع جميـع ما انفتحت بـه قريحته الى موضع الحذف لحرف النـداء وياء المتكلم ، وهو خلاف ما ابانه حديثه من سمات بلاغية وخصائص فنية اشتمل عليها النص القرآني واضاف اليه القزويني تحقيقا في اختيار كلمة « العظم » وكلمة « الشيب » وابان موقعهما البلاغي ، وأحال على الزمخشري بيان محاسن الاختيار فقال : ـ

(فالوجه في ذكر العظم دون سائر ماتـركب منه البدن وتوحيده ماذكره الزمخشري قال : انما ذكر العظم لانه عمود البدن وبه قوامه ، وهو اصل بنائه ، واذا وهن تداعى وتساقطت قوته ، ولانه اشد ما فيه واصلبه ، فاذا وهن كان ما وراءه اوهن ، ووحده لان الواحد هو الدال على معنى الجنسية وقصده : الى هذا الجنس ـ الذي هو

العمود والقوام ، واشد ماتركب منه الجسد ـ قد اصابه الوهن ، ولو جمع لكان الى معنى اخر وهو انه لم يهن منه بعض عظامه ولكن كلها »[41] .

وما افاض عنه بالحديث كل من الزمخشري ، والسكاكي والقزويني ، لايمت الى معاني النحو بصلة ، بقدر صلته الماسة بالمعاني البيانية وتخير الالفاظ ، واصول البلاغة .

* * *

واما الاطناب ، فقد ذكروا له بعض المحسنات البيانية التي تتعلق بالنص تارة ، وبالمتلقي تارة اخرى ، وبجرس الالفاظ سواهما .

فقد يأتي الاطناب للايضاح بعد الابهام او التوشيح او بذكر الخاص بعد العام ، واما ان يأتي بالتكرير لنكتة ما ، او بالايغال او بالتذييل ، واما التكميل ، واما بالاعتراض ، واما بغير ذلك [42] .

ولم اجد في هذه التقسيمات ـ التي اساءت الى

مبحث الاطناب اكثر من احسانها اليه ـ اية علاقة بمعاني النحو ، وانما ينطلق اغلب مباحثها بموقع النص عند المتلقي ، فقد تزداد نفسه اقبالا عليه ، وقد يبين له فيه المعنى بعد الاجمال ، وقد يوضح بعد الايهام كما صرح بذلك القزويني نفسه بقوله : « فإن المعنى اذا أُلقي على سبيل الاجمال والابهام تشوقت نفس السامع الى معرفته على سبيل التفعيل والايضاح ، فتتوجه الى مايرد بعد ذلك ، فاذا أُلقي كذلك تمكن فيها فضل تمكن ، وكان شعورها به اتم . او لتكمل اللذة بالعلم به ، فإن الشيء اذا حصل كمال العلم به دفعة لم يتقدم حصول اللذة به الم ، واذا حصل الشعور به من وجه دون وجه ، تشوقت النفس الى العلم بالمجهول ، فيحصل لها بسبب المعلوم لذة ، وبسبب حرمانها عن الباقي الم ، ثم اذا حصل لها العلم به : حصلت لها لذة اخرى واللذة عقب الالم اقوى من اللذة التي لم يتقدمها الم »[٤٣] .

فهو يتحدث عن الاثر النفسي للاطناب ،

والشعور باللذة بعد الالم ، واين هذا من معاني النحو ؟ نعم قد تفيد مباحث الاطناب التنبيه على ذكر الخاص بعد العام وذلك للتأكيد على الامر ، وبيان فضله واولويته وسابقته ، وهو تعبير بلاغي ذو وقع موسيقي وتفصيل ايضاحي كما في قوله تعالى : « حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى »[٤٤] .

فقد ذكر الصلاة الوسطى وهي خاص بالنسبة لعموم الصلوات ، وذلك لبيان اهميتها في التشريع ، ومنزلتها من بين الصلوات ، وهذا يرجع الى الافاضة في دلالة الالفاظ البيانية لا الى النحو .

وموارد الاطناب في القرآن عديدة تتقاطر بحسب الحاجة اليها في بيان المشكل ، واستقراء المجهول ، وكشف الغيب ، وهي اكثر من ان تحصر ، وكان مما اطنب في ذكره القرآن ، وافاض فيه بكثير من التفصيل حال المنافقين ، نظرا للدور المهم الذي لعبه هؤلاء في التصدي للاسلام والتعدي على المسلمين ، وبغية ان

يحذرهم المؤمنون في كل طور ودور بكل زمان ومكان جاء تمثيلهم بآيات البقـرة (١٧ ـ ٢٠) بكثير من التفصيـل لاحوالهم النفسية ، وواقعهم المـرير ، ذلـك لتصويـر الحالة المتأرجحة لهم بين الغلاف الحاجز المبطن والاهاب المستعار ، وبين الظاهر المستقيم والوجه الصالح الذي يتراؤون به ، وكشف هذا المناخ المكثف يحتاج الى وصف شافٍ وبيان مستفيض(٤٥) .

ولست بحاجة في هذا البيان الذي طرحه القرآن في صفة المنافقين واعمالهم ، ومصائرهم ، الا للذائقة الفنية التي تميز بين هذه الاوصاف المختلفة المتشعبة في مناخ مظلم مكفهر يسلمك الى الرهبة والفزع والتوقع وماذاك الا للتأثير البلاغي في النفس .

والمساواة في المباحث البـلاغية تـوصف بمجالها الخـاص بأنها تـأتي احتـرازا من التـطويـل ، وتفـاديـا للاضافات غير المجدية ، وذلك بموافقـة اللفظ للمعنى المحـدد له ، ولا عـلاقة لهـذه الظاهـرة بمعـاني النحـو

كعلاقتها بكيفية عرض البيان سليما من الحشـو واللغو والهـذر . ومن ابـرز امثلة المسـاواة قـولـه تعـالى : ـ (ولايحيق المكر السيء الا بأهله)[٤٦] .

فلم تـزد في اللفظ عـلى المعنى ، ولم تنقص من دلالته عليه وذلك ينظر اليه في مجال دلالة الالفاظ على المعاني المحددة لها من وجهة نظر نقدية وبلاغية بعيدة عن عالم النحو .

رأي في مناهج المعاني :ـ

اذن ، فالمباحث هذه ـ فيما يبدو لي ـ اعني الفصل والـوصل ، والايجـاز الاطنـاب والمسـاواة ، ينبغي ان تقتطع من مباحث معاني النحو لتضاف الى مباحث البيان في منهجة البلاغة العربية ، لقربها منها ولصوقها بها ، لما اقمناه من دلائل توضيحية ترجح هذا الرأي ، وتدعم هذا الموقف .

والمبـاحث المتقدمـة ، اعني : قضايـا الاسناد ،

بابوابها الثلاثة : احوال الاسناد الخبري ، واحوال المسند اليه ، واحوال المسند ، واحوال متعلقات الفعل ، والقصر والانشاء ينبغي ان توصل بعلم النحو ، فهي معاني النحو لاشك في ذلك لما بيناه آنفا .

نعم مباحث الفصل والوصل والايجاز والاطناب والمساواة وان كانت لاتخلو من لمسات نحوية ، وملامح اعرابية الا انها مباحث بلاغية ، ومباحث الاسناد ، ومتعلقات الفعل ، وقضايا التقديم والتأخير والحذف والاظهار والاضمار والتقدير ، والقصر والحصر ، والخبر والانشاء ، وان كانت لاتخلو من رصد بياني احيانا الا انها مباحث نحوية .

اذن فمن الخير للعربية ، ومن الصيانة للتراث ان نرجع بالفنون الى اصولها ، فما غلب من منحى على فن ما ، الحق به وماتميز بخصائص نؤصله باتجاه متميز ، اختص به ، وليس في ذلك شطط ، بل فيه دقة

وموضوعية ، الدقة في التغليب ، والموضوعية في المنهجة ، والا فالفنون العربية متداخلة الابعاد في اجزاء من مباحثها ، فالنقد الادبي ذو لمحة بلاغية ، والبلاغة ذات سمة نحوية ، والنحو ذو صلة لغوية ، واللغة ذات اقيسة منطقية ، والمنطق ذو مسحة فلسفية ، والفلسفة ذات سحنة اصولية ، والاصول ذو تفريعات كلامية وهكذا دواليك بالنسبة لفنون العربية الاخرى (٤٧) .

لاغبار ان مباحث البيان الاصلية اعني : المجاز ، التشبيه ، الاستعارة ، الكناية ، هي الاساس في بلاغة العرب ، ولكن لامانع ان تتوج بالوصل والفصل ، والايجاز والاطناب ، والمساواة فهذه مباحث لها رحم ماسة ، ووشائج متصلة بالبلاغة العربية دون ريب . وان مباحث المعاني المتقدمة في موضوعات الاسناد ، والخبر ، والانشاء ، ومتعلقات الفعل ، وصيغ التقديم والتأخير ، والاضمار ، والتقدير هي الاساس في معاني

النحو ، فلماذا لاتقتطع من البلاغة وتعود اليه ، كما اقتطعت منه ـ من ذي قبل ـ والصقت بالبلاغة ، وهي اقرب الى النحو موضوعا وبحثها من مهمات النحويين لاغير .

ولقد حمّل استاذنا الدكتور الجواري النحاة مسؤولية هذا التهاون « لانهم الزموا انفسهم باستيعاب المعاني وصرفها الى ماسمي علوم البلاغة ، وهي في الحق معاني النحو التي لايستقيم النحو الا بها ، ولاتستقر قواعده الا عليها ، وهذا امر تنبه له غير واحد من الباحثين في مسائل النحو ونقد منهجه ، ولعل اولهم في عصرنا هذا المرحوم الاستاذ ابراهيم مصطفى في كتابه الجليل احياء النحو »[٤٨] .

فاذا اضفنا لذلك مذهب الدكتور المخزومي في « مدرسة الكوفة » وفي « النحو العربي » الدكتور عبدالقادر حسين في اثر النحاة في البحث البلاغي والدكتور عبدالسلام عبدالحفيظ في « مناهج البحث

البلاغي في الدراسات العربية » والمؤلف في « اصول البيان العربي » والدكتور احمد مطلوب في « القزويني وشروح التلخيص » و « مصطلحات بلاغية » ، والدكتور الجواري نفسه في « نحو القرآن » و « نحو الفعل » وتأكيده لذلك منتقدا وضع النحاة ؛ وهو يتناول الفعل المضارع في وروده بمعنى الامر « ومثل هذا التصرف في الاسلوب ، تضيف به قواعدهم ، ولايتسع له فهمهم لقضايا التركيب ومسائله ، وهو ادخل في علم المعاني الذي سلخوه من النحو او سلخوا النحو منه ، فأحالوه يبسا لا ماء فيه ولارواء »[٤٩] .

اقول وقد استقرينا مجمل هذه الاراء المعاصرة ، مع ما قدمناه من مقارنة وادلة وبراهين ، يكون الرأي صالحا في الدعوة الى الحاق جملة فنون علم المعاني - باستثناء الفصل والوصل والايجاز والاطناب والمساواة بمعاني النحو ، واعادتها الى النحو ، ولايكون ذلك امرا نحن ابتدعناه ، ولا ملحظا نحن بدأناه وانما هي سنة

البحث العلمي في وضـــع الحق في نصـابـــه ومن الله التوفيق .

واخر دعوانا ان الحمد لله ربّ العالمين .

النجف الاشرف / كلية الفقه
الجامعة المستنصرية

الدكتور
محمد حسين علي الصغير

١ ـ احمد عبدالستار الجواري ، نحو الفعل ، ٧ ـ ٨ .
٢ ـ احمد عبدالستار الجواري ، نحو الفعل ، ١٢ ـ ١٣ .
٣ ـ البقرة /١١ .
٤ ـ البقرة /١٢ .
٥ ـ القزويني / الايضاح ، ٢٢٠ .
٦ ـ آل عمران ، ١٤٤ .
٧ ـ القزويني ، الايضاح ، ٢١٩ .
٨ ـ ظ : محمد كلانتر ، دراسات في اصول الفقه ١ /٣٣ ـ ٥٨ .
٩ ـ ظ : عبد الاعلى السبزواري ، تهذيب الاصول ١ /٤٥ ـ ٧٩ .
١٠ ـ القزويني ، الايضاح ، ٢٤٦ .
١١ ـ الجاحظ ، البيان والتبيين ، ١ /٨٧ .
١٢ ـ ابو هلال العسكري ، الصناعتين ، ٤٥٨ .
١٣ ـ المصدر نفسه ، ٤٥٨ .
١٤ ـ المصدر نفسه ، ٤٦٠ .
١٥ ـ الجرجاني ، دلائل الاعجاز ، ١٤٩ .
١٦ ـ الجرجاني ، دلائل الاعجاز /١٥٥ .
١٧ ـ سورة التكوير ١ ـ ١٤ .
١٨ ـ الشعراء / ٢٣ ـ ٣١ .

١٩ ـ الغاشية / ١٦ ـ ١٩ .
٢٠ ـ القزويني ، الايضاح ، ٢٦٦ .
٢١ ـ الجرجاني ، دلائل الاعجاز ، ١٦٣ .
٢٢ ـ الرماني ، النكت في اعجاز القرآن ، ٧٠ .
٢٣ ـ الجرجاني ، دلائل الاعجاز ، ٢٩٣ .
٢٤ ـ القزويني ، الايضاح ، ٢٨١ .
٢٥ ـ العسكري ، الصناعتين ، ١٧٩ .
٢٦ ـ المصدر نفسه ، ١٨٠ .
٢٧ ـ العسكري ، الصناعتين ، ٢٠ .
٢٨ ـ المصدر نفسه ، ٤٥ .
٢٩ ـ المصدر نفسه ، ٤٣ .
٣٠ ـ المصدر نفسه ، ١٧٩
٣١ ـ العسكري ، الصناعتين ، ١٩٦ .
٣٢ ـ ظ : القزويني ، الايضاح ، ٨٧ ، وما بعدها .
٣٣ ـ البقرة / ١٧٩ .
٣٤ ـ الاعراف / ١٩٩ .
٣٥ ـ ظ : القزويني ، الايضاح ، ٢٨٧ وما بعدها .
٣٦ ـ القزويني ، الايضاح ، ٢٩٠ .
٣٧ ـ ظ : المصدر نفسه ، ٢٩١ .
٣٨ ـ مريم / ٤ .

٣٩ ـ ظ : الايضاح ، ٢٩٤ ومابعدها .

٤٠ ـ المصدر نفسه ، ٢٩٦ .

٤١ ـ القزويني ، الايضاح ، ٢٩٦ .

٤٢ ـ ظ : المصدر السابق ، ٣٠١ .

٤٣ ـ القزويني ، الايضاح ، ٣٠١ .

٤٤ ـ البقرة / ٢٣٨ .

٤٥ ـ ظ : المؤلف ، الصورة الفنية ، ٢١٩ .

٤٦ ـ فاطر / ٤٣ .

٤٧ ـ ظ : المؤلف ، اصول البيان العربي ، ٢٦ .

٤٨ ـ احمد عبدالستار الجواري ، نحو القرآن ، ٤٣ .

٤٩ ـ احمد عبدالستار الجواري ، نحو القرآن ، ١٠١ .

ـ المصادر والمراجع ـ

أ) المصادر القديمة : ـ

١) القرآن الكريم .
٢) التفتازاني ، سعد الدين ، مسعود بن عمر الهروي (ت : ٧٩٣ هـ) مختصر المعاني ، طبعة مصورة .
٣) التوحيدي ، ابو حيان ، علي بن محمد بن العباس (كان حياً ٤٠٠ هـ) الامتاع والمؤانسة ، تحقيق احمد امين واحمد الزين ، القاهرة .
٤) الجاحظ ، ابو عثمان ، عمرو بن بحر (ت : ٢٥٥ هـ)

البيان والتبيين ، تحقيق حسن السندوبي ، المطبعة الرحمانية القاهرة ، ١٩٣٢ .
٥) الجرجاني ، عبدالقاهر بن عبدالرحمن (ت : ٤٧١ هـ)

اسرار البلاغة : تحـ : هلموت ريتر ، مطبعة

وزارة المعارف استانبول ١٩٥٤ .
٦) الجرجاني .
دلائل الاعجاز ، تحـ : محمد عبده ، ومحمد محمود التركزي ، الطبعة السادسة مطبعة محمد علي صبيح ، القاهرة ، ١٩٦٠ .
٧) الخليل بن احمد الفراهيدي (١٠٠ ـ ١٧٥ هـ)
كتاب العين ، تحقيق الدكتور مهدي المخزومي وابراهيم السامرائي دار الرشيد ، بغداد ، ١٩٨٠ .
٨) الرازي ، فخر الدين محمد عمر بن الحسين (ت : ٦٠٦ هـ) .
نهاية الايجاز في دراية الاعجاز مطبعة الاداب والمؤيد ، القاهرة ، ١٣١٧ هـ .
٩) الراغب الاصبهاني ، الحسين بن محمد بن المفضل (ت : ٥٠٢ هـ) .
المفردات في غريب القرآن .
تحقيق ، محمد سيد كيلاني ، مطبعة مصطفى

البابي الحلبي ، القاهرة ، ١٩٦١ .
١٠) ابن رشيق ، الحسن بن رشيق القيرواني
العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده .
تحقيق : محمد محيي الدين عبدالحميد ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٧٢ .
١١) الرماني ، ابو الحسن علي بن عيسى (ت : ٣٨٦ هـ)
النكت في اعجاز القرآن ، ضمن ثلاث رسائل في اعجاز القرآن
تحقيق : الدكتور محمد خلف الله ، والدكتور محمد زغلول سلام ، دار المعارف القاهرة ، ١٩٧٦ .
١٢) الزبيدي ، ابو بكر ، محمد بن الحسن (ت : ٣٧٩ هـ)
طبقات النحويين واللغويين .
تحقيق ، محمد ابو الفضل ابراهيم . دار المعارف بمصر ، القاهرة ، ١٩٧٣م .

١٣) الزمخشري ، جـارالله ، محمود بن عمـر (ت : ٥٣٨ هـ)
الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل
دار المعرفة بيروت (د . ت)
١٤) السكـاكي ، ابو يعقـوب ، يـوسف بن ابي بكـر الخوارزمي (ت : ٦٢٦ هـ)
مفتـاح العلوم ، المـطبعـة الادبيـة ، القـاهـرة ١٣١٧ هـ .
١٥) سيبويه ، ابو بشر عثمان بن قنبر (ت : ١٨٠ هـ)
الكتاب . تحقيق : عبدالسلام هارون ، القاهرة ١٩٧٥ .
١٦) الـطريحي ، فخر الـدين بن محمد عـلي بن احمد النجفي (ت : ١٠٨٥ هـ)
مجمع البحرين ، تحقيق : احمد الحسيني ، مطبعة الاداب النجف الاشرف ، ١٩٦١ .
١٧) ابن فارس ، ابو الحسين ، احمد بن فارس بن زكريا

(ت : ٣٩٥ هـ)
الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها
تحقيق : مصطفى الشويمي .
١٨) ابن قتيبة ، ابو محمد ، عبدالله بن مسلم (ت : ٢٧٦ هـ)
تأويل مشكل القرآن
تحقيق السيد احمد صقر ، طبعة عيسى البابي ، القاهرة ١٣٧٣ هـ .
١٩) القزويني ، ابو المعالي ، جلال الدين محمد بن عبدالرحمن (ت : ٧٣٩ هـ)
الايضاح في علوم البلاغة : محمد عبدالمنعم خفاجي
دار الكتاب اللبناني ، الطبعة الخامسة ، بيروت ، ١٩٨٠ م .
٢٠) ابن منظور ، جمال الدين ، محمد بن مكرم الانصاري (ت : ٧١١ هـ) .

لسان العرب ، طبعة مصورة عن طبعة بولاق ، القاهرة (د . ت) .
٢١) ابن النـديم ، ابـو الفـرج ، محمـد بن اسحـاق البغدادي (ت : ٣٨٥ هـ)
الفهرست ، نشر الاستـاذ فلوجل ، لايبـرج ، ١٨٧١ ـ ١٨٧٢ م .
٢٢) النويري ، شهـاب الدين احمـد بن عبدالـوهاب (ت : ٧٣٣ هـ) .
نهاية الارب في فنون الادب ، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب (د . ت) .
٢٣) ابو هلال العسكري . الحسن بن عبدالله (ت : ٣٩٥ هـ)
كتاب الصناعتين .
تحقيق ، علي محمد البجاوي ، ومحمد ابو الفضل
مطبعة البابي الحلبي ، القاهرة ١٩٧١ .

المراجع الحديثة : ـ

٢٤) احمد احمد بدوي (الدكتور)

عبدالقاهر الجرجاني وجهوده في البلاغة العربية / مكتبة مصر ، القاهرة (د . ت) .

٢٥) احمد عبدالستار الجواري (الدكتور)

نحو الفعل ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، ١٩٧٤ .

٢٦) احمد عبدالستار الجواري .

نحو القرآن ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، ١٩٧٤ .

٢٧) احمد مطلوب (الدكتور)

مصطلحات بلاغية ، مطبعة العاني ، بغداد ، ١٩٧٢ .

٢٨) احمد مطلوب

القزويني وشروح التلخيص ، بغداد ، ١٩٦٧ .

٢٩) امين الخولي (الشيخ)
مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والادب
مطابع الطناني ، القاهرة ١٩٦١ .
٣٠) امين الخولي
دائرة المعارف الاسلامية ، مادة بلاغة
ترجمة عبدالحميد يونس ، اوفسيت . ١٩٣٣ .
٣١) داود سلوم (الدكتور)
النقد المنهجي عند الجاحظ ، مطبعة المعارف ، بغداد ، ١٩٦٠ .
٣٢) شوقي ضيف (الدكتور)
البلاغة تطور وتاريخ ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٥
٣٣) عبدالاعلى الموسوي السبزواري (المرجع الديني في النجف)
تهذيب الاصول ، مطبعة الاداب ، النجف ، ١٩٧٩ .

٣٤) عبدالسلام عبدالحفيظ (الدكتور)
مناهج البحث البلاغي في الدراسات العربية
دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٧٨ .
٣٥) عبدالقادر حسين (الدكتور)
اثر النحاة في البحث البلاغي
نهضة مصر ، القاهرة ، ١٩٧٥ .
٣٦) علي النجدي ناصف
سيبويه امام النحاة
مطبعة لجنة البيان العربي ، القاهرة ، ١٩٥٣ .
٣٧) محمد حسين علي الصغير (المؤلف)
اصول البيان العربي ، رؤية بلاغية معاصرة
دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٨٦ .
٣٨) محمد حسين علي الصغير (المؤلف)
الصورة الفنية في المثل القرآني / دراسة نقدية وبلاغية
دار الرشيد للنشر ، بغداد ، ١٩٨١ م .

٣٩) محمد كلانتر (رئيس جامعة النجف الدينية) .
دراسات في اصول الفقه ، مطبعة النجف ،
النجف الاشرف .

الفهرست

المقدمة .... ـ ٥ ـ
الفصل الاول : علم المعاني تعريفاً وتقسيماً ـ ١١ـ
١ ـ عرض منهجي
٢ ـ المعاني في اللغة
٣ ـ المعاني في الاصطلاح
٤ ـ تقسيم مباحث المعاني ـ ٤١ ـ
الفصل الثاني : تأصيل علم المعاني
١ ـ بين يدي هذا الفصل
٢ ـ المعاني عند سيبويه
٣ ـ المعاني من ابن قتيبة الى ابن فارس
٤ ـ المعاني عند عبدالقاهر
الفصل الثالث : المعاني بين النحو والبلاغة ـ ٧٥ ـ
١ ـ معاني النحو
٢ ـ معاني البلاغة
٣ ـ رأي في مناهج المعاني

المصادر والمراجع : -١٢٥-
أ ـ المصادر القديمة
ب ـ المراجع الحديثة

الموسوعة الصغيرة

سلسلة ثقافية
تتناول مختلف العلوم
والفنون والآداب

رئيس التحرير:
موسى كريدي
سكرتير التحرير:
ماجد أسد



دار الشؤون الثقافية العامة
وزارة الثقافة والإعلام

السعر نصف دينار